جَمَاليّةُ التَقابُلِ في خطابِ السيدةِ فاطِمَةَ الزهراءِ عليها السلام

- قراءة تحليلية في تشخيص حقيقة الآخر -

The aesthetic of the meeting in the speech of Mrs. Fatima Zahra (peace be upon her) - Analytical reading in diagnosing the truth of the other -

أ.م.د. حَيْدَر مَحْمُوْد شَاكِر الجُدَيْع

جَامِعَةُ كَرْبَلَاْء/ كُلِّيَّةُ العُلُوْمِ الإِسْلَاْمِيَّة/ قِسْمُ اللُّغَةِ العَرَبِيَّة

Lectur.Dr. Haider Mahmood Shakir Al-Judie

University of Karbala/ College of Islamic Studies/ Arabic Language Department

dr.aljudae@gmail.com

خضع البحث لبرنامج الاستلال العلمي

Turnitin - passed research

الملخص:

تسعى القراءة إلى بيان جمالية وظيفة التقابل الحجاجية في خطاب السيّدة الزهراء ﷺ للآخر خصم المخاطَب، وتشخيص حقيقة كلّ طرف منه، إذْ يشكّل التقابل ببُعديه التجلّي والخفاء اللذين يضمان طاقة حجاجية كبيرة لها شحناتها المؤثرات بقوة دافعة، وأخرى جاذبة في تغيير الحقائق المخبوءة المسلوبة، وإطلاق الحقوق المغتصبة، للرأي العام آنذاك من جهة، وللتأريخ الحاضر والمستقبل، ومنها تبقى الحقيقة خالدة في كلّ جيل تمر به من أجيال الإنسانيّة، وهذا هو الهدف الرئيس الذي اشتغلت عليه السيدة الزهراء ﷺ في خطابها (الفدكيّ) الآخر ومَنْ معه، وتحاول القراءة بتحليلها كشف أسرار التقابل، وعناصره، وعلاقاته النصيّة والجمالية، فلم يكن اشتغالها معنياً بالوقوف النمطيّ على تحليل الطّباق اللفظيّ، أو المقابلة البلاغيّة المعروفة، أو الثنائيات المتعارضة، من مشاكلة، والتلاؤم، والتوازن، وتوازي التناظر، والإتزان، والإرداف، والترديد، والتعطف، بقدر ما هي تعتمد بيان جمالية موضوعات التقابل، وكشفها لموقف مناسبة الحدث، أين ما تمر به، إذْ إنّه؛ وإن كان يجمع وظيفيّاً بين هذه كلّها، وبخاصة بين المقابلة، والطباق إلّا أنّ السيدة الزهراء ﷺ أسسته على حِجَاج تقابل رسم صورة (حزب الله الغالب-الحقّ) وأتباعه؛ وعلى تشخيص رؤوس (حزب الشيطان الزاهق-الباطل) وأوليائه، للتأريخ الإنسانيّ منذ وَقْعة يومها آنذاك، وحتى يومنا هذا بتداولية آنية حالية، وتعاقبية منتشرة متداخلة بين الأفقية، والعمودية، وهدفها ﷺ كشف حقيقة الآخر، وبيان الحقّ، وإيصال حقائق السماء إلى الآخرين.

Abstract

This study aims at highlighting the literary aesthetics of the argumentative function of confrontation in the discourse of Seida: Fatima Al-Zahraa (PBUH) to the interlocutors، the enemy. The explicitness and implicitness of the argumentative comparison explain the argumentative power over the hidden usurped rights of the narrator to people and document such an event to keep the truth intact to all generations over time. This is the goal the Lady behind the Fadak sermon.

The study also attempts at analyzing the secrets of the argumentative comparison، its elements and its aesthetic textual relationship in the sermon and does not follow the traditional analysis of the comparative and contrastive functions of the text، rather; it focuses on literary aesthetics of the topics of argumentative comparison in alignment with its uses according to the specific contexts. Though the argumentative comparison functionally combines all the above، especially the comparison and comparative function، Lady Fatima Al-Zahraa (PBUH) uses it to highlight the comparison between the image of The Right (The party of Allah is victorious) and its adherents from one side، and، the wrong (The party of Satan is defeated) and its followers from the other hand.

The study also addresses the goal of Lady Fatima Al-Zahraa (PBUH) through her sermon to reveal the truth of her enemy، state The Right، and pass the divine truths to other.

(مِهَادٌ تَنْظِيْرِيٌّ وَتَصَوُّرٌ تَقَابُلِيٌّ):

في منطق تكوين الخلق الإلهيّ أنّ جمال كلّ شيء في عوالم الأكوان، حامل ثنائية تقابل الخير، والشر، ولكلّ عالَم منها له كمال نظامه، وجمال اشتغاله بحسب ما وظّفه اللهُ سبحانه في كونه، كما أَلْهَمَ اللهُ تعالى عالَمَ (نَفْسَ) الإنسان هذه الثنائية، إذ يقول سبحانه في معرض قسمه بها: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا * فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا * قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا * وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾[1]، على مستوى القول الرحمانيّ الإيجابيّ: (النطق بالحق، وذكر الله عزّوجلّ والحمد والشكر له، والصلاة والسلام على أنبيائه ورُسله؛ وبخاصة رسوله العظيم ونبيّه الخاتم مُحَمَّد وأهل بيته عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام، وشكر المخلوقين على فضلهم، والعرفان بمحاسن الآخرين).

وبعكس ما يقابله القول الشيطانيّ السلبيّ: (النطق بالباطل، وذكر أعداء الله وطاعتهم من دونه، ومحاربة أهله وأوليائه، والتمرد على فضل المخلوقين، ونكران المحاسن، والنفاق، والغيبة، والنميمة، والبهتان)، وهكذا على مستوى الفعل، وعلى مستوى التقرير لكلّ إنسان. وكذا ثنائية التقابل في سائر أشياء الكون كلّه، فضلاً عن توابعه الأكوان داخل نظامه الكلّي، بما فيها عالم كون (الأرض) السفلية تقابلاً بما يحيط بها من (السّماء) العلوية، فيها النجوم، والكواكب ولاسيما الشمس والقمر، وما يجري في نظامه كلّ بفلكه يسبحون، وما ينتج من تقابل بين الأرض بحركتها اليومية، و(الشّمس) في مركزها الكونيّ، و(القمر) بقدره البَرَمِيّ[2]؛ تعاقب ثنائية تقابل (الليل والنهار)؛ و(المشرق والمغرب)، واشتقاقاتهما الزمنية من (بكرة ودلوك وشروق وضحى وزوال وظهر وعصر وأصيل وما بينها إلخ..) في اليوم الواحد، وفي كلّ يوم بعده، وحتى نهاية تكوين الشهر القمريّ، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ

اللهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ﴾[٣].

فالآية تثبت أنّ ثنائية أيّ تقابل زمنيّ شهريّ هو نتاج ثنائية تقابل كونيّ أساس بين (السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ)، إذْ إنّ نظام خلق الله تبارك اسمه قائم على ثنائية تقابل نظام (الزوجيّة) في كلّ شيء خلقه تعالى، من بني البشر وألوانهم وكلّ له جمالية صورته التي ركّبه الله عليها، ومن الحيوان وأنواعه وأصنافه وألوانه، وكلّ له جماله، ومن بيئات الأرض وتنوعها وصفاتها، وكلّ بيئة لها حياتها وخصوصيتها، وتعدد نباتها، وجمالها، وخلابتها، وألوانها، ورونقها، وهكذا ثنائية التقابل في الموجودات كلّها، بما فيها (الماء) مركّب من عنصرين هما؛ **(H2O)**، وحتى هو الماء بنفسه ثنائية نوعين: (عذب فرات ومالح أُجاج). هذا يثبت أنّ خالق كلّ شيء هو (أَحَد فَرْد صَمَد)، ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾[٤]، له الربوبيّة والإلهيّة والوحدانيّة وحده لا شريك له، ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ * لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾[٥].

إذاً شاء الله تبارك وتعالى أن يجعل كلّ خَلْقه يتوالد، ويتركّب، ويتجدّد، وينشطر بثنائية مطلقة في دلالتها العموم والشمول، من أوّل ثنائية بدء (فتح) خلقه وهو نور رسوله العظيم (مُحَمَّد) (صلى الله عليه وآله)، و(ختم) به، لكونه خاتم المرسلين والأنبياء، وحتى يختم بخاتم الأوصياء نوره ألا وهو (حفيده)، الحجّة ابن الحسن (المهديّ) (عجّل الله فرجه وسهّل مخرجه)، وهذا ما صرّح الإمام الحُسَيْن (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((بِنَا فَتَحَ اللهُ وَبِنَا خَتَمَ))[٦]، إنّ قصدية توظيف الإمام ثنائية الفعلين (فَتَحَ) و(خَتَمَ) بالماضوية، إثبات علم الله عزّوجلّ بتخطيطه المسبق لثنائية خَلْقه كلّه، فضلاً عن خصوصية حصر ثنائية (الفتح والختم) بهم أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ). وهذه

خصوصية الثنائية هي نفسها نابعة من آخر وصية لرسول الله مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، إذْ قال: ((إِنِّي مُخَلِّفٌ فِيْكُمُ الثَّقْلَيْنِ كِتَابَ اللهِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ، انْظُرُوْا كَيْفَ تَخْلُفُوْنِي فِيْهِمَا؟، يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُعَلِّمُوْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ))[٧].

وهذا ما تعتمده القراءة التحليليّة من منهج الثقلين في بيان جمالية خطاب السيّدة الزهراء عليها السلام، من حيث إنّ معرفة جماليات الأسلوب وأسراره في النصوص الاستثنائية (القرآن العظيم/ الأحاديث النبويّة/ كلام المعصومين)، متعلقة بـ (معرفة دقيقة وموجزة على أساسين ثنائية اثنين من أساسات فهم النص، أو الخطاب من الداخل: اللّغة؛ والإيقاع ... من دون إهمال كلّ ما يضيء هذين الجانبين من سنّة المصطفى مُحَمَّد (صلى الله عليه وآله)، وسيرة الأئمة المعصومين (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، فعلاً وقولاً، ومن أقوال علماء مدينة العلم المُحَمَّدي العلويّ، إذْ نراها السنّة المحمودة التي نهتدي بها لكشف كثير من دلائل النص أو الخطاب وأسرارهما التعبيرية)[٨].

لقد كان لخلق الله بديع السماوات والأرض، الأثر الجلي الواضح في انعكاسه على الإنسانية كافة، بعقولهم، وتدبر أوعية قلوبهم، ودرجات علومهم، ومراتب مواهبهم، ومستويات إبداعاتهم، وتنوع نظراتهم الفلسفية، وتشعّب فنونهم كلّها، كلّ يلتمس له زاوية جمال من زوايا جمال الثنائية الإلهيّة كلّه، إذْ إنّ ((الجمال هو امتزاج مضمون عقليّ مؤلّف من تصورات تجريبيّة غير إدراكيّة، مع مجال إدراكيّ بطريقة تجعل هذا المضمون العقليّ، وهذا المجال الإدراكيّ لا يمكن أن يميز أحدهما عن الآخر)) [٩].

وفي ضوء هذه النظرة المعنويّة الفلسفية، تنبثق النظرة الجمالية إلى تلقّي النص

أو الخطاب باعتماده معرفة المتلقّي ذي المدارك الذوقية والفكرية معاً، قيم الوجود، والحرية، والخبرة، والثقافة، والجمال، هذه كلّها تجعل الصلة قوية بينه، وبين النص أو الخطاب المعنيّين بدراسته، وكذا بين الرؤى الجمالية التي يتميزان بها، وعندها يدرك وجوه النظم، وما يضمّه من وجوه البيان؛ من مادة وهيأة، يمكّنه أن يحسّ بالصور الجمالية، ويستبطن في إطار سياق المكونات تفرد الظاهرة الجمالية لأيّ نصٍّ أو خطاب، وأساس أُسس الإبداع الجماليّ الرئيس، هما العناية بـ(اللّغة والإيقاع)، اللّذينِ يكونانِ مفتاح الأُسس الأُخَر(١٠).

ومنها ما تؤسّسه الوظيفة الجماليّة للتقابل بما يقدّمه من لفتات بارعة، وصور ظاهرة مرئية، وباطنة غير مرئية أخّاذة (١١)، تؤثر في النفوس، وتوصل معنى رسالة المنشئ، وفكرته إلى متلقّيه، وتطلق تأملهم لتصوّر أسراره المدهشة، وجمالياته البديعة، بجرس يشدّهم، ويجعلهم في شغف معرفة الغاية المرجوة منه، وترتفع قيمة التقابل الجماليّة بمجيئه العفويّ بقصد من دون تكلّف، حتى يكون حينئذٍ فضل للمنشئ فيه لوقوعه باختياره، وهو ما يذهب التعقيد المعنويّ، ويرفع اليد عن الائتلافات اللازمة (١٢)، ويعمّق تأثيره البالغ في نفوس متلقيه أيضاً، وعليه فالتقابل يحقق للنص أو الخطاب (القدرة على الاستجابة، والتأثير، والإيحاء، بدلائل كثيرة التي يكثّفها على مبدأ التوافق لا التضاد، وهو مبدأ يعتمد أسلوب الحذف، والاقتصاد، والإيجاز، والاختزال في اللّغة، وهذه كلّها عناصر جمالية)(١٣). زيادة عليها دقّة توظيف طرفي التقابل، وهندسة تشكيلهما بين التجلّي والخفاء، وبناء تركيبهما بمقدماته، ونتائجه، كلّ بحسب موضوعته وغرضه، وما تنظم به من جمال التقسيم البديع، وجمالية تشكيل رائع. وهذا كلّه ما تجده القراءة وتهتم به في خطاب السيّدة الزهراء عليها السلام الفدكيّ، وتحلّل علاقاته، وعناصر بنيته، وأواصر تماسك قوته

التعبيرية، وطاقته الأسلوبية.

(أوَّلاً) جَمَالِيَّةُ تَقَابُلِ التَّجَلِّي:

وينقسم بحسب مقتضى حاله في خطبة السيّدة الزهراء ﷺ إلى نوعين هما:

(أوَّلاً- أ) تَقَابُلُ الإِيْجَابِ:

يقصد بـ (تقابل الإيجاب) هو التقابل المعني بالله عزّوجلّ، وبالحقّ وأصحابه وأتباعه، وبالخير وما يتصل به من أصوله، وفروعه كلّها. بين الإنسان وخالقه، أو بين الإنسان ونظيره الإنسان الآخر، أو بين الأخ وأخيه من دينه، وهدف تخطيط هذا التقابل، وغاية تشكيله، وقصدية توظيفه؛ أما مراد إيجابي متجل متحقّق في بيان التخلّق بأخلاق الله تعالى؛ والترغيب والتحبّب؛ وحُسن العمل؛ وتأصيل الفضل؛ وترسيخ منقبة الخير والوصاية به، والعمل عليه. وأما بيان نتائجه الإيجابية الظاهرة المُتجلّية، وإثباتها، وتعزيزها، وتشخيصها، وتعضيدها، وتوثيقها، وإقامة حُجّيتها على المُخاطَب، ومَن في دائرة قناة التواصل معه. وإنّ من أعلى مصاديق التقابل الإيجابيّ في الخطاب هو ما كان مرتبطاً بذكر الله عزّوجلّ من حيث الحمد، والشكر له، والثناء عليه، وكلما كان العبد المخاطب عارفاً الله عزّوجلّ قريباً منه، فصّل في تقابله النّووي، وتشعّب، وتفرّع كثيراً ليعطيه حقّاً أوّلاً، وليستوفي المرجو والممدوح ثانياً، وليعزز المطلب قبال الخصم المخاطَب في باب حُجّية الاحتجاج عليه ثالثاً، وليؤكّد المخاطِب في مقام الموقف للخصم المخاطَب ومَن كان في مجلسه معه أنّه عارف الله عزّوجلّ ومطيع إياه وقريب منه رابعاً، قبال إثبات أنّ الخصم المخاطَب عاصٍ منكرُ النِّعم والآلاء وبعيد عن الله عزّوجلّ خامساً. وهذا ما جاءت به السيدة

الزهراء عليها السلام في ديباجة خطبتها العصماء، إذ قالت:

((الحَمْدُ لله عَلى ما أنْعَمَ، وَلَهُ الشُّكْرُ على ما أَلْهَمَ، وَالثَّناءُ بِما قَدَّمَ، مِنْ عُمومِ نِعَمٍ ابْتَدَأها، وَسُبُوغِ آلاءٍ أسْداها، وَتَمامِ مِنَنٍ والاها، جَمَّ عَنِ الإحْصاءِ عدَدُها، وَنأى عَنِ الجَزاءِ أَمَدُها، وَتَفاوَتَ عَنِ الإدْراكِ أَبَدُها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الخَلائِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها، وَنَدَبَهُمْ لِاسْتِزادَتِها بالشُّكْرِ لِاتِّصالِها، وَاسْتَحْمَدَ إلَى الخَلائِقِ بِإجْزالِها، وَثَنّى بِالنَّدْبِ إلى أمْثالِها))[١٤].

فقابلت (الْحَمْد) = (ما أَنْعَمَ)؛ ← (تقابل مركزيّ لتقابلات فرعية و جزئية)

وقابلت (الشُّكْر) = (ما أَلْهَمَ)

وقابلت (الثَّناء) = (ما قَدَّمَ)

إذْ إنّ هذا التقابل الانشطاري (الحَمْد) = (ما أَنْعَمَ) في أصله ومنبعه تقابل قرآنيّ اعتمدته السيدة الزهراء عليها السلام، إشارة منها إلى مرجعيات علم خطابها الفدكيّ المستندة إلى علم القرآن ومعرفته، المتصدر به الكتاب العظيم عند قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ الذي قابل أفضل ما أنعم الله تعالى في باب دعاء الهداية إلى (الصراط المستقيم) = ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾[١٥].

ومنه تبان جمالية هذا التقابل في أنّه أساس عطاء الله عزّ وجلّ النّعم كلّها، وبه يستحق (الحمد الأكبر)؛ وفي أثنائه (الشُّكْر)؛ و(الثَّنَاء) ومن دون اتباع (الصّراط)،

والسَّعي إليه، ومن أجله، يكون الجحود كلّه لِنِعَم الله كلّها.

وفي البرهة نفسها تشير به إلى قوله تعالى: ﴿ وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ وَمَنْ يَعْتَصِمْ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١٦).

وعَبْره تخاطب الخصم الظالم ومن معه، نحن أهل البيت (حزب الله الغالب المُفْلِح) الذي قال فينا: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آَمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾(١٧)، ونحن الذين أنعم الله علينا بـ(الصّراط المستقيم)، وشعارنا (الحمد لله)، وأما أنتم فتكفرون ﴿ وَأَنْتُمْ تُتْلَى عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ﴾، وأنا ابنتهُ (فاطمة)، وهو (حبل الله عزّوجلّ) الذي أمركم بأن تعتصموا به جميعاً ولا تفرّقوا، وبه (أَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا)، وبه عندما (كُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا). وبهذا التقابل الانشطاري شخّصتِ السيّدة الزهراء عليها السلام أنّ الخصم الظالم المخاطَب بفعله، وظلمه ومن معه (حزب الشيطان) بعد كفرهم بآيات (الله) ونكرانهم وجحودهم نِعَمَهُ، وآلاءَهُ، ومِنَنَهُ.

إذْ عبدوا الشيطان وأطاعوا أوامره من دون الله سبحانه وتعالى، ولقد صدق لسان وعيد الوحي القرآنيّ فيهم، إذْ قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ

مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[١٨].

وهو تشخيصها التقابلي للآخر سارٍ في خطابها كلّه. فهتكهم مقام نبوة النبي أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بقولهم: ((إنّ النّبي يهجر))[١٩].

وتعدّيهم على دارها وإحراقه الذي كان أبوها رسول الله لا يدخله حتى يستأذن قارئاً قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٢٠]، وكسروا ظلعها واسقطوا جنينها (المحسن)، وما رافقتها من أحداث أخذ بعلها وغصب خلافته الإلهية، ومنعها إرثها[٢١] من أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) بعد استشهاده مباشرةً.

لذلك من تقابلها (الحَمْد لله) هذا انشطرت التقابلات الإيجابيات الأُخَر التي قصدتها السيدة الزهراء عليها السلام، كما في الشكل الآتي:

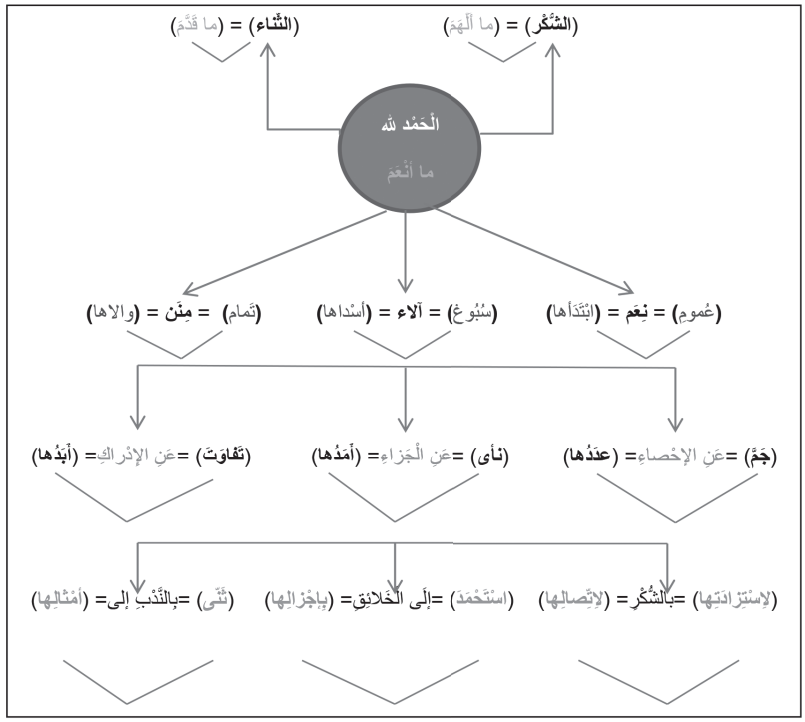

خطاطة توضّح الانشطار للتقابل المركزيّ الرئيس في ديباجة الخطاب

لقد كان لاختيار السيدة الزهراء الدقيق من مفردات طرفي كلّ تقابل منشطر فرعيّ أو جزئيّ في باب انشطار تقابلات عتبة صدر خطابها أثر ظاهر جليّ في بيان معنى تقابلها الانشطاري الأساس (المركزيّ = الحَمْد لله عَلَى مَا أَنْعَم)، وتأكيده. إذ قابلت لدى (الانشطار الفرعيّ) في مقام ذكر (النِّعَم)؛ (عموم = ابتداها)، وفي مقام ذكر (الآلاء)؛ (سُبوغ = أسداها)، وفي مقام ذكر (المِنَن)؛ (تمام = والاها).

وكذا قابلت لدى (الانشطار الجزئيّ) لملحقات (النِّعَم + الآلاء + المِنَن) الغيبيّة،

ومتعلقات آثارها الوجودية وبقائها؛ ففي مقام ذكر (الإحصاء)؛ (جمّ = عددها)، وفي مقام ذكر (الجزاء)؛ (نأى = أمدها)، وفي مقام ذكر (الإدراك)؛ (تفاوت = أبدها). وكذا في تقابلاتها الجزئية الثلاث الأخيرة؛ ففي مقام الندب بـ(الشكر)؛ (لاستزادتها = لإتصالها)، وفي مقام (الحمد لله تعالى)؛ (استحمد = إجزالها)، وفي مقام (الثّناء)؛ (ثنّى = أمثالها). وزيادة على جمالية تراتب تناسب التقابلات الدلاليّ، أنّها حصرت موضوعات التقابلات المركزية منها؛ والفرعية والجزئية بين أطرافها كلّها، لقصدية حصرها (النِّعَم والآلاء والمِنَن) بـ(الله) وحده تبارك وتعالى. كما مُبين في الخطاطة الآنفة، وفي البرهة نفسها نلحظ أنها ابتدأت الأطراف الأُوّل (للتقابلات الفرعية) الثلاث بأسماء مصادر: (عموم وسبوغ وتمام) لتبيّن أنها مصدر العطاء الإلهيّ فقط، وختمت أطرافها الثّواني بأفعال ماضويّة غير محدّدة مستمرة بأزليته سبحانه: (ابتداها وأسداها ووالاها)، لتؤكّد انقطاع عطائها بـ(الله) عزّوجلّ أيضاً. في حين نلمحها ابتدأت (التقابلات الجزئية) الثلاث بأفعال ماضويّة بعدما ختمت بها سابقاتها الفرعية: (جمّ ونأى وتفاوت)، وختمتها بفاعلاتها الوصفيّة: (عددُها وأمدُها وأبدُها)، لتشير إلى استمرارها الوجوديّ، وأزليتها الحتمية المرتبطة بـ(الله) عزّوجلّ المُنعِم المُفضِل المُلهِم سبحانه وتعالى.

أما في التقابلات الجزئية الثلاث (الأخيرة)، فلقد ابتدأت طرف تقابلها الأوّل بـ(لاستزادتها) باشتقاق مصدر مزيد من فعله مكوّن من (عشرة أصوات أحرف) لتعبّر صوتيّاً به عن معنى الزيادة المتصلة بـ(الشكر) التي لا انقطاع لها لذلك ختمت طرفه بمصدر (لاتصالها)، ومِنْ ثَمَّ ابتدأت التقابل الثاني بفعل ماضٍ مزيد (استحمد) ليحمل دلالة عمل الحمد المتصل والمتواصل المختص بالله تعالى وحده وأثره في كلّ شيء لأنه ربّ العطاء، من هنا نجدها ختمت طرفه الثاني بمصدر (إجزالها)

لينا سب ما يشتغل عليه (الحمد) ودلالته المقصودة في طرفه الأوّل، وحتى تنهي ديباجتها بالتقابل الجزئي الثالث الأخير فيها، الذي ابتدأته بفعل ماضٍ مضعّفة عينه هو (ثنَّى) وهذا التضعيف عزّز دلالة الندب وشحنها بمعنى التجدّد والاستمرار والتنوع والتعدد الذي لا نقص فيه ولا شبهة، لذا نراها ختمت طرفه التقابلي بجمع التكسير على وزن (أفعال) ألا هو (أمثالها)، وهنا تبان جمالية نظام خطاب السيدة الزهراء ﷺ، وتماسكه ودقة هندستها وتقابلات ديباجتها البديعة.

ومن جمال حُسن ديباجتها أيضاً، إنهاؤها فاصلات تقابلاتها الفرعية، والجزئية بصوت روي (الهاء = ها) المطلقة لترجع دلالة إطلاق كلّ شيء، ومنه (النِّعَم و الآلاء و المِنَن) كلّها إلى (الله) عزّوجلّ، لتقول إنّها (الهاء المطلقة = ها)؛ هي (هاء = الله = ــه) فيها كلها الذي منه عطاء كلّ شيء وهبته (ابتداها)؛ و(أسداها)؛ و(أولاها)؛ و(عددها)؛ و(أمدها)؛ و(أبدها)؛ و(اتصالـها)؛ و(إجزالـها)؛ و(أمثالـها). كما هو في شكل خطاطة التوضيح في أدناه:

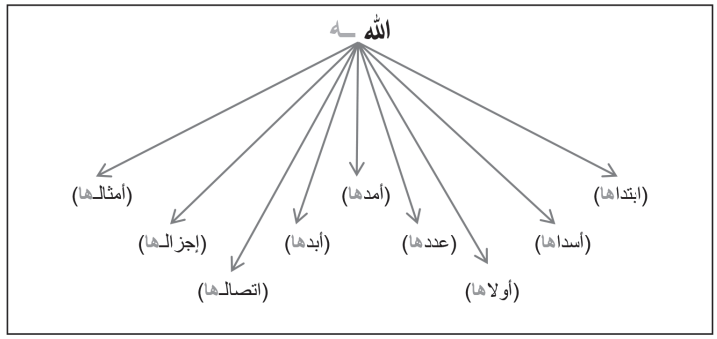

إنّ حَشْد هذه التقابلات الإلهيّة المتراتبة تركيباً، والمتناسبة دلالياً، والمشحونة بياناً، والمُهَنْدَسَة جَمَالاً في ديباجة خطابها ﷺ دليلُ ارتباطها بالذات المقدّسة، وعرفانها الإلهيّ، وعلمها اللَّدُنِّيّ، وفي البرهة نفسها برهانُ صدق حقّها، وثبات موقفها،

ومصداق لسانها لسان أبيها الرسول مُحَمَّد وبعلها ابن عمّها عليّ (صلّى اللهُ عليهما وآلهما)، وحقيقة أنّها قطب (حزب الله) عزّوجلّ، ومَوصِل (التكامل الوظيفيّ) بين النّبوة والإمامة، وأصل دين (إسلام الله) المُحَمَّدِيّ الوجود بأبيها، الحُسَيْنِيّ البقاء بابنها. وما شهادتها العُظمى بالوحدانيّة والأُلوهيّة إلّا خير مصداق، قائلة:

((وَأَشْهَدُ أَنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَريكَ لَهُ، كَلِمَةٌ جَعَلَ الإِخْلاصَ تَأْويلَها، وَضَمَّنَ الْقُلُوبَ مَوْصُولَها، وَأَنارَ في الْفِكَرِ مَعْقُولَها. الْمُمْتَنِعُ مِنَ الأَبْصارِ رُؤْيَتُهُ، وَمِنَ الأَلْسُنِ صِفَتُهُ، وَمِنَ الأَوْهامِ كَيْفِيَّتُهُ. اِبْتَدَعَ الأَشْياءَ لا مِنْ شَيْءٍ كانَ قَبْلَها، وَأَنْشَأَها بِلا احْتِذاءِ أَمْثِلَةٍ امْتَثَلَها، كَوَّنَها بِقُدْرَتِهِ، وَذَرَأَها بِمَشِيَّتِهِ، مِنْ غَيْرِ حاجَةٍ مِنْهُ إِلى تَكْوينِها، وَلا فائِدَةٍ لَهُ في تَصْويرِها إلاّ تَثْبيتاً لِحِكْمَتِهِ، وَتَنْبيهاً عَلى طاعَتِهِ، وَإِظْهاراً لِقُدْرَتِهِ، وَتَعَبُّداً لِبَرِيَّتِهِ، وإِعزازاً لِدَعْوَتِهِ)) [٢٢].

ومن نماذج تقابل الإيجاب كذلك، تقابلات نور الله المُحَمَّدي في معرض شهادتها الكُبرى لأبيها رسول الله مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في أثناء خطابها الخصم الظالم ومَن معه، إذْ تقول: ((فَرَأى الأُمَمَ فِرَقاً في أَدْيانِها، عُكَّفاً على نيرانِها، عابِدَةً لأَوثانِها، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفانِها، فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ظُلَمَها، وكَشَفَ عَنِ القُلُوبِ بُهَمَها، وَجَلَّى عَنِ الأَبْصارِ غُمَمَها، وَقامَ في النَّاسِ بِالهِدايَةِ، وَأَنْقَذَهُمْ مِنَ الغَوايَةِ، وَبَصَّرَهُمْ مِنَ العَمايَةِ))[٢٣].

لقد رسمت السيدة الزهراء عليها السلام بشهادتها هذه مقام أبيها الرسول العظيم عند (الله) عزّوجلّ، وفضله على العالَمين جميعهم، فأرادت بقولها: (فَأَنارَ اللهُ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أن تبيّن فعل (الله) بمشيئة نوره الذي هو نور السماوات والأرض، قد جعله أباها الرسول مُحَمَّداً (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، لذلك قالت: (فَأَنارَ) بفعل ماضٍ

مزيد بهمزة التعدية، لتعطي في البرهة نفسها حقيقة نوره المُحَمَّدي قبل أن يخلق الله سبحانه كلّ شيء، لذلك قالت (ظُلَمَها) بجمع التكسير الدال على الكثرة، إشارة منها إلى ظُلَم العوالم كلها قد أنارها الله تعالى بأبيها الرسول مُحَمَّد، ولتؤكّد أنّ أوّل خلق الله تبارك وتعالى هو نور أبيها المصطفى مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وحَسْبه هو القائل: ((أَوَّل مَا خَلَقَ اللهُ نُوْرِي، ابْتَدَعَهُ مِنْ نُوْرِهِ، وَاشْتَقَّهُ مِنْ جَلَالِ عَظَمَتِهِ)) (). من هنا نلحظ السيدة الزهراء قد بنت شهادتها هذه على ستة تقابلات أساسها المركزي (نور الله المُحَمَّدي) ثلاثة، فاصلاتها بصوت روي (الهاء المطلقة= ها)، قابلت فيها (أَنَارَ = ظُلَمَها)؛ و(كَشَفَ = بُهَمَهَا)؛ و(جَلَّى = غُمَمَهَا)، والثلاثة الأُخَر فاصلاتها بصوت روي (التاء المربوطة= ـة)، قابلت فيها (قَامَ = الهِدَايَة)؛ و(أَنْقَذَهُمْ = الغَوَايَة)؛ و(بَصَّرَهُمْ = العَمَايَة). وكما في الشكل الآتي:

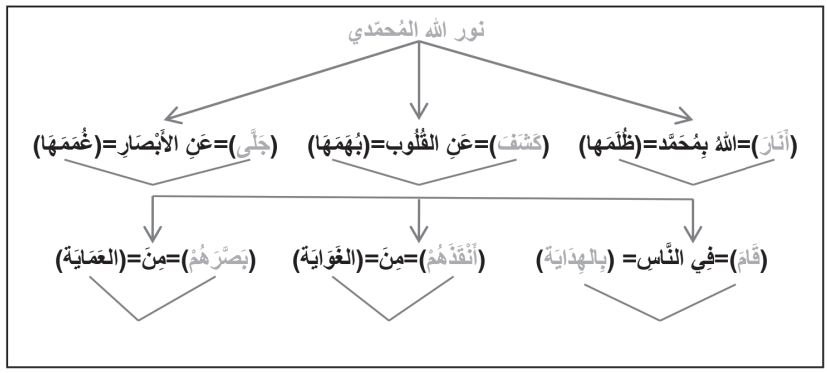

نلمح أنّ السيدة الزهراء دقيقة في تحديد طرفي كلّ تقابل بحسب تناسبها الدلاليّ، وتجاوبها السياقيّ، وحملها البيانيّ، وتراتبها البديعيّ، ولو حاول المرء استبدال طرف بدل طرف آخر من تقابلات (نور الله المُحَمَّدي) لوجد نفسه أمام انكسار معنوي واضح، ولخالف الذوق المنطقي السليم المركّب في الخطاب، وكذا لأحسّ بانحراف

دلاليّ عن وجهته المقصودة، مع أنّ أطراف التقابلات الستة الأُوَل (أفعال ماضوية) كلها (أَنَارَ=مزيد بسابقة همزة التعدية)؛ (كَشَفَ= متعدٍ)؛ و(جَلَّى=مضعّف العين)؛ (قَامَ=لازم)؛ و(أَنْقَذَ= مزيد بسابقة همزة التعدية)؛ و(بَصَّرَ=مضعّف العين). وأنّ الأفعال الثلاثة: (أَنَارَ و كَشَفَ و جَلَّى)؛ قابلتها بأطرافها الثواني وهي فاصلاتها المنتهية بـ(الهاء المطلقة= ها): (ظُلَمَها و بُهَمَهَا و غُمَمَهَا)، وكلّها جموع تكسير دالة على الكثرة. لتعضد الدلالة المقصودة من توظيف أفعالها الثلاثة كلٍ بحسبه، والتي كانت تريد بها (الإنارة المطلقة= للظلم كلّها)؛ و(الكشف المطلق= للبهم كلّها)؛ و(الجلاء المطلق= للغمم كلّها)، وللأزمان كلّها أيضاً؛ بزمنٍ (بدايته ونهايته) في علم الله وحده ولَمَن شاء هو سبحانه. وكذا الأفعال الثلاثة الأُخَر: (قَامَ وأَنْقَذَ وبَصَّرَ)؛ قابلتها بأطرافها الثواني وهي فاصلاتها المختومة بـ (التاء المربوطة= ـة): (الهِدَايَة والغَوَايَة والعَمَايَة)، وكلّها أسماء مصادر لتثبت للخصم الظالم ولمن كان معه في الوقت نفسه، ولمن يجيء بعدهم أنّ أباها مُحَمَّداً رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو مصدر (القيام= بالهداية)، و(الإنقاذ من الغواية)، و(التبصير من العماية)، وهي ابنته (فاطمة) تقوم بما قام به، من هنا قالت لهم: ((أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً: ﴿لَقَدْ جاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ ما عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيم﴾[٢٥] فَإِنْ تَعْزُوه وَتَعْرِفُوهُ تَجِدُوهُ أبي دُونَ نِسائِكُمْ، وَأخا ابْنِ عَمِّي دُونَ رِجالِكُمْ، وَ لَنِعْمَ الْمَعْزِيُّ إِلَيْهِ صَلى الله عليه وآله))[٢٦]، ولتؤكّد استمرار بقاء قيامهم حتى ظهور حفيدها الإمام الثاني عشر الحجة ابن الحسن القائم (عَجَّلَ اللهُ فَرَجَهُ الشَّرِيْفَ). فما أجملها من تقابلات بديعة تتناغم فيها مفردات أطراف دلالياً تجري بتوجيهها المعنوي الذي خطّطت له، وشكّلته السيّدة الزهراء عليها السلام في بيان وظيفة اشتغالات نور الله تعالى ومقاماته، هذا النّور الذي تجلّى في أبيها الرسول مُحَمَّد

(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؛ وبهِ (أَنَارَ = ظُلَمَها)؛ و(كَشَفَ = بُهَمَهَا)؛ و(جَلَّى = غُمَمَهَا)؛ (قَامَ = الهِدَايَة)؛ و(أَنْقَذَهُمْ = الغَوَايَة)؛ و(بَصَّرَهُمْ = العَمَايَة).

ومن تقابل الإيجاب أيضاً، هذا الأُنموذج قولها عليها السلام:

((جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ، وَوَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ، ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ، وَحِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ))()، وفيه جعلت السيدة الزهراء جملةَ تقابلٍ إيجابيةً (مركزية)؛ صدّرتها بنتيجةٍ إيجابية (الثّواب) في جعل نظام الله التكويني المنطقي= (جَعَلَ الثَّوابَ على طاعَتِهِ)، وقابلتها جملة تقابلٍ سلبيّة (هامشية)؛ تقدمها نتيجتها السلبية (العقاب) في وضع نظام العدل الإلهيّ = (وَضَعَ العِقابَ عَلى مَعْصِيَتِهِ) في تقابل عامّ (خارجي عمودي)، وفيه قابلت (الثواب) بـ(العقاب)؛ و(الطاعة) بـ(المعصية)؛ و(الذيادة) بـ(الحياشة)؛ و(عن= البعيد) بـ(من= القريب)؛ و(النقمة) بـ(الجَنّة). وذيّلته بمحصلة جزاء نتيجتين إيجابيّتين هما: (ذِيادَةً لِعِبادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ = جهنم)؛ و(حِياشَةً مِنْهُ إلى جَنَّتِهِ)، مع تقابل خاصّ (داخلي أفقي)، حملته كل جملة بطرفيها، قابلت (الثواب) بـ(الطاعة)؛ و(العقاب) بـ(المعصية)، وكذا قابلت (الذيادة) بـ(النقمة= جهنم)؛ و(الحياشة) بـ(الجَنّة) وبتوجهٍ دلاليّ متراتب مقنن متزن متناسب بين أطرافه كلّها؛ من حيث الدلالة الجزئية لعلاقة ارتباط كل تقابل من جانب، أو من حيث الدلالة الكليّة من أواصر التقابلات جميعها، واشتغالها البيانيّ من جانب آخر. وكما في الشكل الآتي:

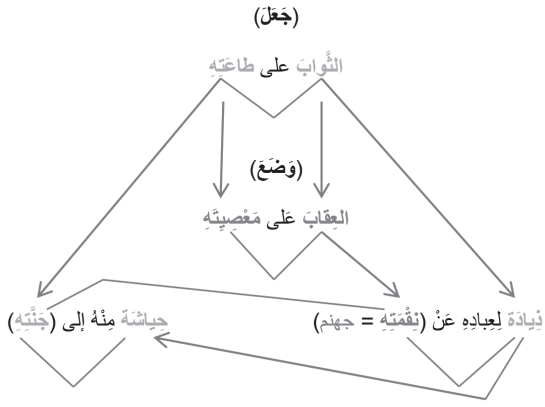

وفوق هذا الجمال الهندسيّ الرائع في تقسيمات التقابلات، تظهر لمسة جمالية كليّة بديعة في أنموذج التقابل الإيجابيّ هذا، ألا وهي أنّ السيّدة الزهراء عليها السلام ابتدأته بنتيجة إيجابية (الثواب)، وختمته بأخرى (الجَنّة) إيجابية أيضاً أوّلاً، وكذا جعلته مصدّراً بنتيجتين إيجابية، وسلبية؛ (الثواب / العقاب)، وختمته بنتيجتين إيجابيتين؛ (الذيادة= أي: يمنعهم ويدفعهم[٢٨] عن نقمته)، و(الحياشة= أي: يأخذهم ويسوقهم[٢٩] إلى جنته) ثانياً، ونلمحها حصرت (العقاب و معصيته) بين النتيجتين الإيجابيتين –كما واضح في الشكل السابق– الفاتحة؛ (الثواب على طاعته)، و(الحياشة منه إلى جنّته) ثالثاً، لتحدّه أكثر تشخيصاً في بيان تحذيرها للخصم المخاطَب من نقمة معصية الله عزّوجلّ، ومخالفة أوامره، وأحكام كتابه، وعاقبتها الخلود في عذاب جهنم الأليم. وفي البرهة نفسها إنها حصرته بنتيجتين إيجابيتين لترغّب الخصم الظالم المخاطَب في الرجوع إلى طاعة الله سبحانه وتعالى، ومناصرة الحقّ وأهله، وتطبيق عدله، والعمل بأحكام قرآن كتابه الكريم، لنيل ثوابه الذي نتيجته جَنّته خالداً فيها أبداً. ثمّ أنّ هناك جمالية أخرى شكّلتها السيدة الزهراء عليها السلام في انتقاء فاصلات جمل هذا التقابل كلها بروي صوت (الهاء المربوطة= ـه)؛ (طَاعَتـه)، (مَعْصِيَّتـه)، (نَقِمَتـه)،(جَنَّتـه)، وهذه (الهاء= ـه) هي ضمير العودة والرجوع إلى الله عزّوجلّ التفتت به السيّدة الزهراء لتبيّن عَبْره جانبين الأوّل؛ بيان عظمة الله جلّ جلاله وكبريائه وسلطانه وجبروته الذي وسع كرسيه السماوات والأرض، وكل شيء بيده، والثّاني؛ بيان التنزيه لله سبحانه في أنها لم تجعله مجاوراً المخلوق وما يتعلق ويرتبط به.

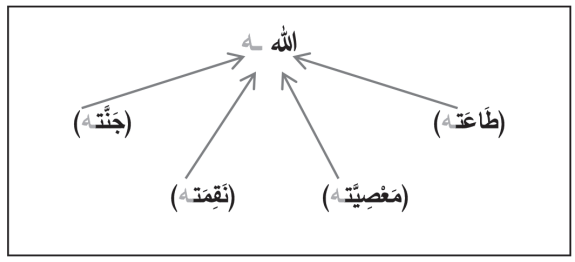

ومن أمثلة تقابل الإيجاب كذلك قول السيدة الزهراء: ((فَإِنْ تَعْزُوْهُ وَتَعْرِفُوْهُ تَجِدُوْهُ أَبِي دُوْنَ نِسَائِكُمْ، وَأَخَا ابْنِ عَمِّي دُوْنَ رِجَالِكُمْ))[٣٠]. في خطابها جمع الخصم الظالم وضعت بين أنظارهم معادلة تقابلية بجملتين هما: (تَجِدُوْهُ أَبِي دُوْنَ نِسَائِكُمْ)، و(أَخَا ابْنِ عَمِّي دُوْنَ رِجَالِكُمْ)، نتيجة جواب الشرط الذي قدّمته إليهم وهو محذوف الفاء الرابطة، لأنّه حامل السؤال الضمنّي المعلوم جوابه عندهم، وفي أنفسهم؛ (فَإِنْ تَعْزُوْهُ وَتَعْرِفُوْهُ = تَجِدُوْهُ ..)، لأنّها باحتجاجها على الخصم الظالم ومن معه، تريد تذكيرهم بمقامها من أبيها رسول الله مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، من دون نسائهم جميعهن، ولعلّها تشير إلى نفسها في مصداق وجودها القرآنيّ في مباهلة أبيها مع نصارى نجران عند قوله تعالى: ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾[٣١]، لتقول لهم أنا المخصوصة في مورد الآية بـ﴿ وَنِسَاءَنَا ﴾ اذ باهل بي أبي من دون نسائكم !، فكيف أصبحت بينكم مهضومة الحقوق، مغصوبة الإرث، مسلوبة المقام، مهتوكة الدار، مكسورة الضلع، مسقطة الجنين، وتقابل بالعداوة والتكذيب وحاشا لها ذلك!.

من هنا قالت في طرف المعادلة التقابلية الأوّل، وهي (جملة)؛ (أَبِي دُوْنَ نِسَائِكُمْ)، ولتشير في البرهة نفسها إلى مقام ابن عمّها الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وقربه النّبوي الإلهيّ من أبيها بقولها في طرف المعادلة التقابلية الثّاني، وهي (جملة)؛ (أَخَا ابْنِ عَمِّي دُوْنَ رِجَالِكُمْ)، إذ خصّ القرآن بقوله في الآية الآنفة نفسها بـ﴿ وَأَنْفُسَنَا ﴾، ولتؤكّد التكامل الوظيفي في اتصال العصمة بين أبيها الرسول (مُحَمَّد) وبينها هي (فَاطِمَة) وبين ابن عمّها الإمام (عَلِيّ) (عليهم أفضل الصلاة وأزكى السلام)، ولتذكّرهم كذلك بقول أبيها الرسول لابن عمّها الإمام عليّ عندما جاء القوم لخطبتها، وبعد

زواجها عاتبوا أباها الرسول منزعجين: ((يا عليّ، لقد عاتبتني رجال من قريش في أمر فاطمة[عَلَيْهَا السَّلَامُ]، وقالوا: خطبناها إليك فمنعتَنا، وتزوّجت عليّاً، فقلت لهم: واللهَّ ما أنا منعتكم وزوّجته، بل اللهُّ تعالى منعكم وزوّجه، فهبط عليَّ جبرئيل(عَلَيْهِ السَّلَامُ) فقال: يا مُحَمَّد، إنّ اللهَّ جلّ جلاله يقول: لو لم أخلق عليّاً لما كان لفاطمة ابنتك كفء على وجه الأرض؛ آدم فمَن دونه))[٣٢].

لذلك لم يزوجها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) غير الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ) من بعد ما جاءه الوحي أنّه كفؤها الذي خلقه الله عزّوجلّ لها، وهذا ما أثبته الإمام الصادق (عَلَيْهِ السَّلَامُ) بقوله: ((لَوْلَا أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى خَلَقَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِيْنَ لِفَاطِمَةَ مَا كَانَ لَهَا كُفءٌ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ آدَم فَمَنْ دُوْنَهُ))[٣٣].

ولقد تجسّد هذا التكامل التوظيفي بين النّبوة والإمامة والسيدة (فاطمة) هي حلقة الوصل بينهما في الحديث القدسيّ في خطاب أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ((يَا أَحْمَدُ لَوْلَاكَ لَمَا خَلَقْتُ الأَفْلَاكَ، وَلَولَا عَلِيٌّ لَمَا خَلَقْتُكَ، وَلَوْلَا فَاطِمَةُ لَمَا خَلَقْتُكُمَا))[٣٤].

وبهذا يبان سرّ تقابلها الإيجابيّ بطرفيه وجماليته الذي حمل هدف خروجها وغايته، هو إرجاع الحقوق المغتصبة المسروقة، بدءاً بحق النبوة المنتهك، وصولاً إلى حقها من إرثها الذي تركه لها أبوها بعد استشهاده مسموماً، وحتى حق إمامة بعلها الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لذلك ذكرته للخصم الظالم وقومه، في جملة طرف تقابلها الثاني. كما في الشكل الآتي:

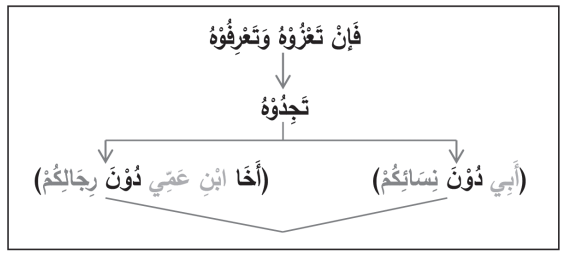

ومن نماذج هذا التقابل أيضاً، قولها عليها السلام: ((فَجَعَلَ اللهُ الإيمانَ تَطْهيراً لَكُمْ مِنَ الشِّرْكِ))[٣٥]، إذ وضعت هذا التقابل الإيجابي بنتيجة إيجابية مكثّفة واحدة (تَطْهيراً لَكُمْ)، حصرتها بين طرفي التقابل وهما؛ (الإيمان / الشِّرْك)، كما في الشكل الآتي:

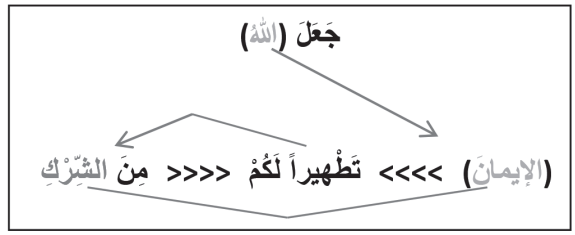

هذا التقابل يثبت أنّ الخصم الظاهر ومن معه قد انحرفوا عن طريق (الإيمان)، ومالوا إلى (الشِّرْكِ)، أو رأيتم قد تلبس بهم الشيطان، وأصبحوا للإيمان أعداء محاربين، وإلّا من غير المنطق أن توظّف هذا التقابل، وليس له واقع مشهود، من هنا اقتضت الضرورة من السيّدة الزهراء عليها السلام، أن تكشف لهم حقيقتهم بذكر سرّ عمل (الإيمان) الذي هو (التطهير)، ولات حين مناص فالخصم الظالم ومن معه قد أخرجوا أنفسهم من (الإيمان)، ونجّسوها بـ(الشِّرْكِ) بدليل ذكرها في خطابها لهم (التّطهير)، الذي شحنته بكناية سيميائية إلى طرفه الخفي (نجاسة الشّرك)، كما في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا وَإِنْ

خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللهُ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ شَاءَ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ ﴾[٣٦]. وحَسْبها كأنّها تريد أن تشير إلى وقعة الأحزاب (الخندق) أيضاً، عندما طلب أبوها مبارزاً يبارز عمرو بن عبد ود العامريّ، ونادى ثلاثاً والخصم الظالم وأكثر الذين معه كانوا شهوداً فيها، ولم يقم أحد منهم إلّا ابن عمّها الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، وبرز وقال فيه أبوها رسول الله مُحَمَّدٌ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ((خَرَجَ الإِيْمَانُ كُلُّهُ إِلَى الشِّرْكِ كُلِّهِ))[٣٧]. ولا عجب فهو من أهل بيت قال الله فيهم: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٣٨]. وبهذا فـ (الإيمان =هو التطهير)؛ و(التطهير =هو الإيمان)، وأهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)؛ هم (الإيمان) كلّه، وهم (التطهير) معاً. ولقد جاء هذا التقابل الإيجابي منسجماً، ومتجاوباً مع مقتضى حال مناسبة حدث خطابها في الأخذ بحقوق أبيها النّبي، وحقوق إمامة بعلها الخليفة الإلهيّ الشرعيّ المنصوص عليه إماماً، وحقوق إرثها بمنطق أحكام كتاب الله القرآن العظيم. وهو ما جسّده خطابها لهم في تقابلها المقطعيّ الجليّ، قائلة: ((وَبَعْدَ أَنْ مُنِيَ بِبُهَمِ الرِّجالِ وَذُؤْبانِ الْعَرَبِ وَمَرَدَةِ أَهْلِ الْكِتابِ، ﴿كُلَّما أَوْقَدُوا ناراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَها اللهُ﴾[٣٩]، أَوْ نَجَمَ قَرْنٌ لِلشَّيْطانِ، وَفَغَرَتْ فَاغِرَةٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَذَفَ أَخاهُ في لَهَواتِها، فَلا يَنْكَفِئُ حَتَّى يَطَأَ صِماخَها بِأَخْمَصِهِ، وَيُخْمِدَ لَهَبَها بِسَيْفِهِ، مَكْدُوداً في ذاتِ اللهِ، مُجْتَهِداً في أَمْرِ اللهِ، قَرِيباً مِنْ رَسُولِ اللهِ سِيِّدَ أَوْلِياءِ اللهِ، مُشَمِّراً ناصِحاً، مُجِدّاً كادِحاً ـ وأَنْتُمْ في رَفاهِيَةٍ مِنَ الْعَيْشِ، وَادِعُونَ فاكِهُونَ آمِنُونَ، تَتَرَبَّصُونَ بِنا الدَّوائِرَ، وتَتَوَكَّفُونَ الأَخْبارَ، وَتَنْكُصُونَ عِنْدَ النِّزالِ، وَتَفِرُّونَ عِنْدَ القِتالِ))[٤٠].

ويا لها من جمالية تقابل مكثّف بتركيبته ودلالاته، ولكنّه حمّال حقائق أمور كبرى، ودقائق أصول فضلى، ووثائق حقوق عظمى، في خطابها الخصم الظالم ومن معه،

وكذا في خطابها الاستشرافيّ معشر الإنس كلّهم على مرّ الأزمان والعصور كلّها.

(أوّلاً –ب) جَمَالِيَّةُ تَقَابُلِ السَّلْبِ:

يقصد بـ (تقابل السّلب) هو التقابل المعني ببيان انحراف سلوكيات الإنسان وأخلاقه، وبالشّر ومصاديقه، وبالشيطان وأوليائه ومن تبعهم، وما يتصل به من مكائده، وخطواته كلّها. من جهة الإنسان ومعصية خالقه، أو من جهة ظلم الإنسان نظيره الإنسان الآخر، وسلب أخيه حقوقه وغصبها، وهدف تخطيط هذا التقابل، وغاية تشكيله، وقصدية توظيفه؛ إما مراد سلبي في بيان التحذير للابتعاد عن الشيطان وشرّه المشخّص بأوليائه من الإنس الظاهر بوقائع أفعالهم، ومواقف أعمالهم؛ والتوبيخ؛ والإرشاد للرجوع إلى الخير وأهله؛ والعاقبة؛ والجزاء. وإما بيان نتائجه السلبيّة وإثباتها، وتشخيصها، وتوثيقها، وإقامة حُجّيتها على المُخاطَب، ومَن في دائرة قناة التواصل معه.

ومن نماذج تقابل السّلب قولها ﷺ، في معرض تصويرها ماضي القوم، وتشخيص الرؤية الإلهيّة المُحَمَّديّة في أُممهم وأحوالهم: ((فَرَأَى الأُمَمَ فِرَقاً فِي أَدْيَانِهَا، عُكَّفاً عَلَى نِيْرَانِهَا، عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا، مُنْكِرَةً لله مَعَ عِرْفَانِهَا))[٤١]، فقابلت أطراف هذه التقابلات دلاليّاً، كل طرف وما يناسبه، ويشتغل معه على بيان رسم دقّة صورة قومهم –وهم معاً– التي كانوا عليها، من الفرقة والتسافل وعبادة والوثن مع نكرانهم لله تعالى على الرغم من معرفتهم به عزّوجلّ، فجعلت (فِرَقاً =مقابلاً= أَدْيَانِهَا)؛ و(عُكَّفاً =مقابلاً= نِيْرَانِهَا)؛ و(عَابِدَةً =مقابلاً= أَوْثَانِهَا)؛ (مُنْكِرَةً =مقابلاً= عِرْفَانِهَا). كما في الشكل الآتي:

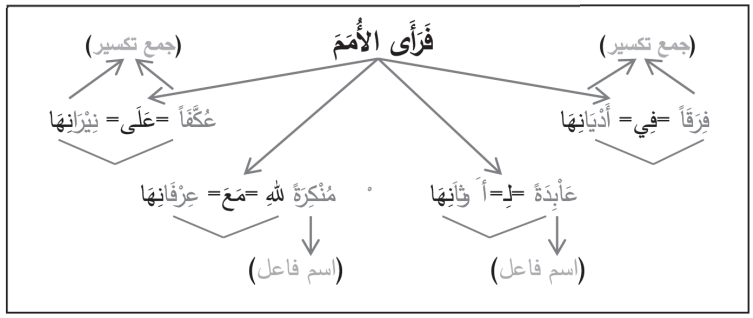

نلحظ أنّ السيدة الزهراء (سلام الله عليها) جاءت بالتقابلين الأوّل والثاني (جمع تكسير) لدى الطرفين من كل واحدٍ، فتقابل السّلب الأوّل؛ (فِرَقاً فِي أَدْيَانِهَا)، وكذا الثّاني؛ (عُكَّفاً عَلَى نِيْرَانِهَا)، لأنّها عليها السلام أرادت بهما التعبير لفظيّاً قبل المعنى، وتركيباً قبل الدلالة، لذا جسّدت تفرقهم، ومثّلت عكوفهم ومقامهم وإقامتهم على النيران حتى أنّهم حبسوا أنفسهم في عبادتها للأوثان، وكأنّها تشير إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ﴾[٤٢]، في بيان حالهم وحال الأُمم أمثالهم واحد، لتذكّر الخصم الظالم وقومه الذين معه استشرافا قرآنيّاً بالعاقبة، وكذا تشير إلى قوله تعالى المذكّر بالأمم السابقة التي كانت عكّفاً على أصنامها: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ * قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ * قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ * أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ * قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ * قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ * أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمُ الْأَقْدَمُونَ﴾[٤٣]. لذلك جاءت في التقابل الثالث بجمع طرفه الثاني فقط؛ (عَابِدَةً لِأَوْثَانِهَا)، لترسّخ نسق اتفاقهم على عبادة الأوثان، وتوحّدهم في اتخاذ باطل الشيطان. في حين نلمح أنّها مهّدت بالطرف الأول المفرد من التقابل الثالث (عَابِدَة) للتقابل الرابع؛ (مُنْكِرَةً للهِ

مَعَ عِرْفَانِهَا)، الذي تقصد به مع طرف تمهيدها الإفراد لتجعله خالصاً في تصويره حال أمهم ووصفها؛ فضلاً عن مجيئها بصيغة (اسم الفاعل/ عَابِدَة = مُنْكِرَة)، الذي يحمل بدلالته ثبوت تحقق فعلهم واستمراره والتمسك به عامدين مقصرين عالِمين، وفي البرهة نفسها يعضد دلالة خصوص المعنى الذي تقصده السيدة الزهراء ﷺ في تشخيصهم؛ (عَابِدَة<< مُنْكِرَةً <<لله>> مَعَ عِرْفَانِهَا)، لينسجم مع عنادهم في التوحيد لله عز وجل والوحدانية له وحده سبحانه وتعالى، في البرهة نفسها. ثمّ عزّزت تماسك هذه التقابلات كلّها بروابط أعطت كلّ تقابل منها دائرة اشتغاله التأثيريّ في ذهن الخصم المخاطب ومن معه، إذْ وظّفت حرف (فِي) في بيان تقابل سلب فرق أديانها لأنّ فيها القدرة على استيعاب دلالة ظرفية حقيقة صورتهم. وكذا تقصدت حرف (عَلَى) في تقابل تشخيص عكوفهم على نيرانهم التي كانوا يعبدونها وبدلالتها على استعلائهم إيّاها لتصوّر عمق احتضانها. وكذلك اعتمدت حرف (اللام لـ) في تقابل عبادتها لأوثانها، لأنّه يعطي بارتباطه التركيبيّ (لِأَوْثَانِهَا) دلالة تجذرها فيهم، وارتباطهم الوثيق بعبادتها. في حين أنّها أسندت تقابل السلب الأخير إلى حرف المكان (مَعَ) ليوسّع دلالة عرفان الأُمم باللهتعالى إلّا أنّها منكرة بفاعلية حثيثة لا توقف فيها بمعيتها أنفسها (منكرة + عرفانها) شخّصت تذبذبهم، وتقلبهم، وتجذّر النفاق في نفوسهم، بدلالة المعية التي جمعت ضدّي طرفي التقابل في آنٍ واحد. وهنا تُبان روعة تشكيل التقابلات، وبديع بنائها، وجمالية صنيعها، ونظمتها كلّها بروي فاصلة المطلقة المسبوقة بنونِ مكسورةٍ (نِهَا)؛ (أَدْيَانِهَا/ نِيْرَانِهَا/ أَوْثَانِهَا/ عِرْفَانِهَا)، التي تتجاوب مع قصدية توجيه المضمون الرئيس، إذْ الكسر (ـــِ) يدل على انكسار تسافل أمم الخصم الظالم السابقة، هو ومن معه بانكسار سقوط قيمهم، وهبوط أخلاقهم، وانحراف أديانهم، وانحطاط مبادئهم.

ومن أمثلة تقابل السَّلب كذلك، خطابها (بِنَي قَيْلَة)[٤٤] في ذمِّهم بذكر ماضيهم، وتوبيخهم بحاضر موقفهم، قائلة: ((إِيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أ أُهْضَمُ تُراثَ أُبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ، وَالأَدَاةِ وَالْقُوَّةِ، وَعِنْدَكُمُ السِّلَاحُ وَالْجُنَّةُ؛ تُوَافِيْكُمُ الدَّعْوَةُ فَلَا تُجِيْبُونَ، وَتَأْتِيْكُمُ الصَّرْخَةُ فَلَا تُغِيْثُونَ، وَأَنْتُمْ مَوْصُوفُونَ بِالْكِفَاحِ، مَعْرُفُونَ بِالْخَيْرِ وَالصَّلَاحِ ...؛ فَأَنَّى جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ، وَأَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلَانِ، وَنَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدَامِ، وَأَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيْمَانِ؟، ﴿أَلَا تُقاتِلُونَ قَوْماً نَكَثُوا أَيْمانَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْراجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَداؤُكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾[٤٥]. أَلَا قَدْ أَرَى أَنْ قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ، وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ، وَخَلَوْتُمْ بِالدَّعَةِ، وَنَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ، فَمَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ، وَدَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ، فـ ﴿إِنْ تَكْفُرُوا أَنْتُمْ وَمَنْ فِي الأَرْضِ جَمِيعاً فَإِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾[٤٦]. أَلَا وَقَدْ قُلْتُ ما قُلْتُ عَلَى مَعْرِفَةٍ مِنِّي بِالْخَذْلَةِ الَّتِي خامَرَتْكُمْ، وَالْغَدْرَةِ التِي اسْتَشْعَرَتْها قُلُوبُكُمْ، وَلكِنَّها فَيْضَةُ النَّفْسِ، وَنَفْثَةُ الْغَيْظِ، وَخَوَرُ الْقَنا، وَبَثَّةُ الصُّدُورِ، وَتَقْدِمَةُ الْحُجَّةِ. فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، بَاقِيَةَ العَارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ اللهِ وَشَنارِ الأَبَدِ، مَوْصُولَةً بِـ﴿نَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ﴾[٤٧]. فَبِعَيْنِ اللهِ مَا تَفْعَلُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾[٤٨]، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ))[٤٩].

نلحظ أنّها عليها السلام قد حصرت في مقطع خطابها مجموعة من التقابلات السلبيّة بين (مقدمة سلبيّة) حملها سؤال توبيخي استفساري لـ (بَنِي قَيْلَة) على موقفهم مخذل الحقّ وأهله إلى جانب الخصم الظالم الباطل، إذْ قالت: (إِيْهاً بَنِي قَيْلَةَ! أ أُهْضَمُ تُراثَ أُبِيَهْ وَأَنْتُمْ بِمَرْأَى مِنِّي وَمَسْمَعٍ، ومُبْتَدأٍ وَمَجْمَعٍ؟! تَلْبَسُكُمُ الدَّعْوَةُ، وتَشْمُلُكُمُ

الْخَبْرَةُ، وَأَنْتُمْ ذَوُو الْعَدَدِ وَالْعُدَّةِ...)، عرضت في أثنائه تأريخهم الماضي المعروف لهم، والحاضر الانهزامي المنافق، وبين (خاتمة استشرافية قرآنية) لعاقبتهم، وجزائهم، إذْ تقول: (فَدُونَكُمُوها فَاحْتَقِبُوها دَبِرَةَ الظَّهْرِ، نَقِبَةَ الْخُفِّ، بَاقِيَةَ العَارِ، مَوْسُومَةً بِغَضَبِ الله وَشَنارِ الْأَبَدِ، مَوْصُوْلَةً بِـ﴿نَارِ الله الْمُوْقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾. فَبِعَيْنِ الله مَا تَفْعَلُونَ، ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، وَأَنَا ابْنَةُ نَذِيْرٍ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيْدٍ)، حتى أضحى مقطع الخطاب هذا كتلة سلبيّة مستقلة بحقّ بني قيلة، وعَبْر مجموعة التقابلات السلبيّة قد اختزلت صورتهم الكاملة التي شخّصت موقفهم المرتد إلى جناب الباطل، وفي البرهة نفسها رسمت ملامح خذلانهم، وغدرتهم تجاه أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، لذلك قالت فيها؛ بسؤال إنكاريّ آخر صدرته بأداة الاستفهام (أَنَّى)؛ التي حملت تقابل التحوّل لبني قيلة بين الحاضر والماضي ببُعْديها الزمكانيّ معاً؛ (جُرْتُمْ بَعْدَ الْبَيَانِ)، و(أَسْرَرْتُمْ بَعْدَ الإِعْلَانِ)، و(نَكَصْتُمْ بَعْدَ الإِقْدَامِ)، و(أَشْرَكْتُمْ بَعْدَ الإِيْمَانِ)، كما في الشكل الآتي:

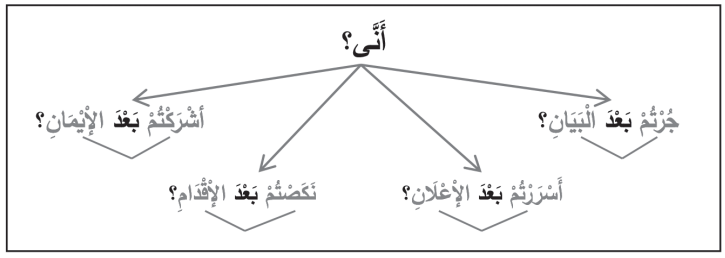

حتى أنّها كشفت لهم في الموقف نفسه، حقيقة نفاقهم المبطّن في مناصرة حزب الشيطان وأوليائه بأداة قرآنيّة صريحة، شخصت السبب والنتيجة في آن واحد؛ (أَتَخْشَوْهُمْ فَاللهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ)، إذْ كانت نتيجة خشيتهم غير (الله عزّوجلّ) أن (قَدْ أَخْلَدْتُمْ إِلَى الْخَفْضِ)، و(وَأَبْعَدْتُمْ مَنْ هُوَ أَحَقُّ بِالْبَسْطِ وَالْقَبْضِ)، و(خَلَوْتُمْ

بِالدَّعَةِ)، و(نَجَوْتُمْ مِنَ الضِّيقِ بِالسَّعَةِ)، لذلك أعقبتها بتشخيص انقلابهم الداخلي المنعكس ظهوراً بتحوّلهم الخارجي، وموقفهم المنقلب على عقبيه، فَ(مَجَجْتُمْ ما وَعَيْتُمْ)، و(دَسَعْتُمُ الَّذِي تَسَوَّغْتُمْ)، وكان هو من أهم الأسس التي بنت عليها السيدة الزهراء(عليها السلام) تقابلاتها السلبيّة، ونتائجها معاً، المشتقة من وعيد لسان القرآن العظيم فيهم، إذْ يقول: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهَّ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَّ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[٥٠]. من هنا نجدها ﷺ، قد ختمت مقطع خطابها بآيتين كريمتين ارتكز عليهما بتشخيص النتائج، واستشرافها المستقبلي القريب فيهم، والمثلي البعيد بحقّ من ينصب العداوة على أهل البيت (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)؛ قوله تعالى:﴿نَارِ اللهِ الْمُوقَدَةِ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾، لأنّها شخّصت أفئدة قوم الخصم الظالم ممتلئة بالخبائث كلّها، وقوله تبارك اسمه: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِيْنَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾، من حيث إنّ الخص++م وقومه بظلمهم هتك مقام نبوة أبيها الرسول، وسرقتهم وصاية خلافة بعلها الإمام بعده، وغصبها إرثها وسلبها حقها، يعد ظلماً لا يعدله ظلم قبله ولا بعده أبداً. وهنا تتجلّى في هذه التقابلات البديعة جماليّة قصدية هندستها الرائعة، بما يحصرها تركيباً بدءاً وختاماً، وما بينهما.

(ثانياً) جَمَالِيَّة تَقَابُل الخَفَاء:

وفيه تستعمل السيّدة الزهراء ﷺ التقابل بإخفاء أحد طرفيه، فتارة تظهر الطرف الإيجابي منه، وتخفي السَّلبي منه لدلالته عليه، أو لعلّه لحكمة إخفاء السلبي عن الإيجابي تنزيهاً للإيجابي لعلو شأنه ورتبته، حتى لا يقترن سياقياً بالسّلبي وفي الوقت نفسه لإضعاف السَّلبي عن الذكر في المقام نفسه. وأخرى العكس للحكمة نفسها

التي ترجع إلى الإيجابي في باب التعظيم له، لألّا يجاور ما هو دونه أو يلتصق، ويُسوَّى، ويقترن به. لذلك قسّمت الدراسة تقابل الخفاء إلى قسمين، هما: (جَمَالِيَّة إِخْفَاءِ الإِيْجَابِيّ عَنْ طَرَفِهِ السَّلبيّ)، و(جَمَالِيَّة الإِيْجَابِيّ وَإِخْفَاء طَرَفِهِ السَّلْبِيّ)، وكما هما في المعالجة الآتية:

(أوّلاً -أ): جمالية إخفاء الإيجابي عن طرفه السَّلبيّ:

ويقصد به إخفاء الطرف الإيجابيّ من التقابل، وترك التصريح به، والعِوَض عنه بما يدل عليه من قرينة؛ إما مفردة تشير إليه، وإما نتيجته الإيجابية؛ أو بعض أجزائها.

ومن أمثلة نماذجه، قولها: ((وَأَشْهَدُ أَنَّ أَبِي مُحَمَّداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اخْتارَهُ وَانْتَجَبَهُ قَبْلَ أَنْ أَرْسَلَهُ، وَسَمّاهُ قَبْلَ أنِ اجْتبَلَهُ، وَاصْطِفاهُ قَبْلَ أنِ ابْتَعَثَهُ، إِذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ، وَبِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ، وَبِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ)) (٥١). نلحظ أنّ السيّدة الزهراء في مقام شهادتها العظمى بحق أبيها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) في خطابها الخصم الظالم، قد أسندت صفاته؛ (عَبْدُهُ -رَسُولُهُ)، وأفعال الله العظيم له؛ (اخْتارَهُ -انْتَجَبَهُ-أَرْسَلَهُ -سَمّاهُ - اجْتبَلَهُ-اصْطِفاهُ-ابْتَعَثَهُ)، إلى ضمير (الهاء) المربوطة المتصلة الراجعة إلى (الله) عزّوجلّ، لتعطي بدلالتها ارتباط أبيها (مُحَمَّد) بالله سبحانه وتعالى الخالدي الأبدي الذي لا انفكاك له، ومقام قربه العظيم منه الباقي الأزليّ. فبلحاظ هذا الشأن الكبير، والقرب العظيم، ذكرت الطرف السلبي للخصم الظالم المُخاطَب على مستوى الخلائق كلّها، فقالت: (إِذِ الْخَلائِقُ بالغَيْبِ مَكْنُونَةٌ)، وَ(بِسِتْرِ الأَهاويل مَصُونَةٌ)، وَ(بِنِهايَةِ الْعَدَمِ مَقْرُونَةٌ) مع إخفاء طرفه الإيجابيّ لأبيها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، فيقابل الطرف الأوّل خفاء أنّه؛ (معلوم بعلم الله نور عرشه)، ويقابل الطرف الثاني أنّه؛ (ظاهر بتجلّي نور

الله فيه للعالَمين في السماوات والأرض)، ويقابل الطرف الثالث أنّه؛ (باقٍ ببقاء وجه الله ذي الجلال والإكرام)، كما في الشكل الآتي:

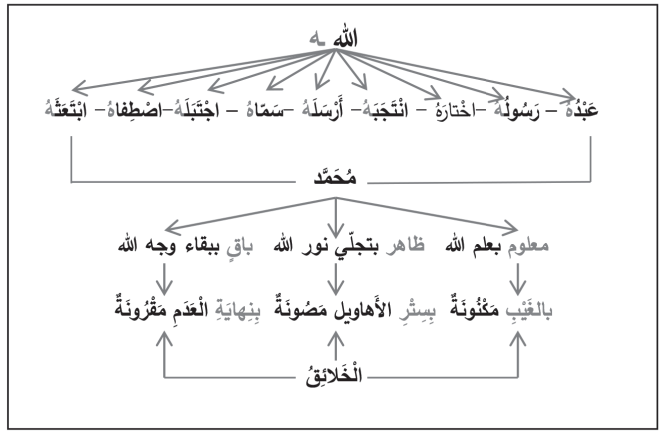

حتى لا يقابله مجاورة، أو يسوّى به لفظياً تركيباً، ولا دلالياً معنوياً، لذلك أبقت قرينة دالة عليه، أَلَا وهي الهاء المربوطة بالصفات والأفعال رجوعاً إلى الله عزّوجلّ، وعَبْر بنائه تظهر جماليته الراقية.

ومن نماذجه كذلك، قولها: ((ثُمَّ قَبَضَهُ اللهُ إِلَيْهِ قَبْضَ رَأْفَةٍ وَاخْتِيَارٍ، وَرَغْبَةٍ وَإِيْثَارٍ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ فِي رَاحَةٍ، قَدْ حُفَّ بِالْمَلَائِكَةِ الأَبْرَارِ، وَرِضْوَانِ الرَّبِّ الغَفَّارِ، وَمُجَاوَرَةِ المَلِكِ الجَبَّارِ)) [٥٢]، تقابل السيّدة الزهراء في مقطع خطابها هذا بين طرف السلب ألا وهو؛ (تَعَبِ هَذِهِ الدَّارِ–هِيَ الدّنيا–)، وبين طرفه الذي أخفته (فِي رَاحَةٍ –عند آخرة الله العظيم في جنته جنّة الخُلْد).

فلم تصرح به لدواعٍ بلاغية جميلة، أهمّها إبقاء انفتاح تصور المتلقي لراحة قرب الله جل وعلا في آخرته أولاً، وإطلاق التأمل الواسع في جنته العظيمة التي أعدّها لأبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثانياً، وحتى تبعد دار الآخرة نفياً عن

التعب كلّه ثالثاً، وبيان مقام أبيها الرسول عند الله عزّوجلّ رابعاً. كما في الشكل الآتي:

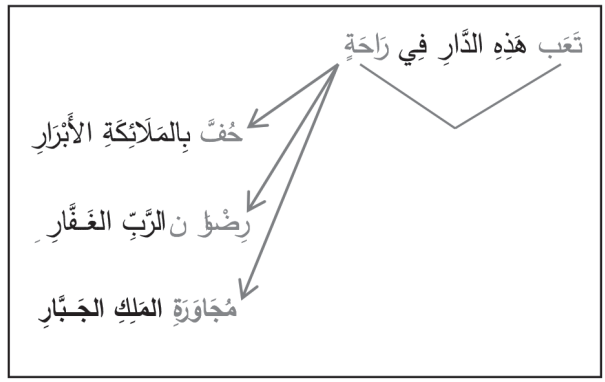

لذلك لم تصرّح بـ(آخرة الله)، بل أبقت لها علامات سيميائيات رائعات، إذْ تجسّد عطاء الله تبارك وتعالى أكرم الأكرمين المطلق لمقام رسوله الأكرم، وتوسّع انفتاح اشتقاق معاني رؤية الصور ودلالاتها، وهي؛ (حُفَّ بِالمَلَائِكَةِ الأَبْرَارِ)، و(رِضْوَانِ الرَّبِّ الغَفَّارِ)، و(مُجَاوَرَةِ المَلِكِ الجَبَّارِ)، فنلمح أنّها ﷺ قد ابتدأت مُفتتِحة العلامة الأولى بفعل ماضٍ مبني للمجهول (حُفَّ) الذي يفيد التعظيم وعلو الشأن لمقام أبيها، وبه تدخل ذهن المتلقي في تصور (الرضوان)، و(المجاورة)، ولتلقي الحجّة على الخصم الظالم الذي هتك مقام النبوة، وسرق حق ولاية الإمامة وسلبها وتقمصها، ومنع إرث أبيها عنها، وغصبه.

ومنه قولها أيضاً ﷺ في باب الجعل الإلهيّ: (وَالصَّلاةَ تَنْزِيْهاً لَكُمْ عَنِ الكِبْرِ)[٥٣]، إذْ مثّلت (الصَّلاةَ / التَّواضع) وهو الطرف الإيجابي المخفي الذي يقابل ظاهره (الكِبْر)، وفيه تبان نكتة إخفائه، لأنّ اشتغاله الدلاليّ في الخفاء يتجاوب مع حقيقة

التواضع المتجسّد بـ(الصَّلاة)، من حيث إنَّ الرِّياء أصل بلاء (الكِبْر)، ويتنافى مع اشتغال آداب الصّلاة وحكمتها وفلسفتها.

ومن أمثلته كذلك، قولها: ((وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أذِلَّةً خاسِئِينَ، *تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ*، فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي))[٥٤]، أخفت السيدة الزهراء الطرف الإيجابي بوضع قرينة لفظية دالة عليه، هي جملة؛ (فَأنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ)، لبيان عظيم شأن عمل إنقاذه إياهم، لأنّه الطهر الطاهر المطهّر أوّلاً، ولتبقيه بعيداً عن وصول الشيطان وأوليائه إليه ثانياً، ولتشخّص تَرْكَهُم التمسك بأبيها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) الذي بعثه الله تبارك وتعالى منقذاً ثالثاً، ولتكشف زيف إسلامهم، وكذب ادعائهم الخلافة بعده رابعاً. وأما خطابها إياهم (تَخافُونَ أنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ) فهو إشارة تشخيصية كنائية منها عليها السلام بحقّهم إلى قوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ أَفَبِالْبَاطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَكْفُرُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِلْكَافِرِينَ * وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴾[٥٥]، وهنا تكمن جمالية قصدية إخفائها الطرف الإيجابيّ عن السّلبي في خطابها العام الخصم الظالم.

(أوّلاً –ب): جمالية الإيجابي وإخفاء طرفه السَّلبيّ:

ويراد به إخفاء الطرف السَّلبي من التقابل، والابتعاد عن إظهاره في الخطاب، والعِوَض عنه بما يدل عليه من قرينة؛ إما مفردة تشير إليه، وإما مقدّمته الإيجابية؛ أو

بعض أجزائها، أو يقصد الخطيب من وراء بيان الضدّ، أو المقابل الطرف السّلبيّ المخفي عند المُخاطَب ومَن في دائرة مصداق الخطاب واهتمامه. وهذا ما سعت السيدة الزهراء إلى تحقيقه في ذهن الخصم الظالم، وقومه معه، وكذا للأجيال عبر العصور كلها.

ومن أمثلته، قولها ﷺ: ((وَهَدَاهُمْ إِلَى الدِّيْنِ القَوِيْمِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى الطَّرِيْقِ المُسْتَقِيْمِ))[٥٦]، في هذا الأُنموذج أرادتِ السيدة الزهراء عَبْر عرضها فضل أبيها الرسول في مقام شهادتها الكبرى، واحتجاجها على الخصم الظالم وقومه معه، أن تخاطبهم خطاباً تقريعيّاً مُظهرة مصرّحة فيه بنتائج الإيجابية لطرف التقابل الإيجابيّ، قاصدة بكنايتها المضمرة تعرية حقيقتهم، وكشف جوهرهم الشيطانيّ المتحوّل عمّا هم عليه من (ضلالهم الناس إلى الدين المنحرف)، و(دعواهم إلى الطريق غير المستقيم)، بعد أن وجدهم الشيطان وألفاهم لدعوته مستجيبين، وللغرّة ملاحظين. لذا فهي ﷺ خاطبت وجدانهم، وضمائرهم إن كان عندهم ضمير حق، بحسب طهارة الفطرة التي فطرهم الله عليها. وكأنّ السيدة الزهراء تريد إحالة الخصم الظالم وقومه معه إلى قوله تعالى: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَأٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ﴾[٥٧]، وقوله سبحانه: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾[٥٨]، في أنّهم استجابوا للشيطان، وعصوا الله ربّهم، وكذا لم يستجيبوا لله ولرسوله، عندما دعاهم لما يحييهم، بل استجابوا للشيطان الذي يميتهم، حتى تلبّس فيهم، وأصبحوا له أولياء مطيعين. من هنا نجدها وظّفت صدارة طرفي تقابل الإيجاب بفعلين ماضيين هما؛ (هَدَاهُمْ)، و(دَعَاهُمْ)، لأنّها في مقام تصوير سابقة

فضل أبيها الرسول عليهم، وتصوير أفعالهم المنقلبة في نصب العداوة عليه وأهل بيته (عليهم أفضل الصّلاة وأزكى السّلام)، وبهما تتجلى جمالية إخفائها الطرف السّلبي، الذي يشخّص الانقلاب الداخلي المتجذّر عندهم على الأبعاد كلّها، وما لحقه من انعكاس انقلاب واقعي خارجي بمصاديق مواقف أفعالهم، وما ترتّب عليها من آثار الجور، والطغيان، والظلم، وتعطيل أحكام قرآن الله وكتابه، وسُنَّة رسوله.

من هنا نجدها في مقطع أُنموذج آخر تخاطبهم قائلة: ((أَنْتُمْ عِبادَ الله نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ وَحَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ، وأُمَناءُ الله عَلى أنْفُسِكُمْ، وَبُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ، وَزَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ لله فِيْكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ: كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ، بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ، قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ))[٥٩]، إنّ في هذا الخطاب ذماً وتوبيخاً لقوم الخصم الظالم بذكرٍ إيجابيٍّ لعباد (الله) عزّوجلّ كانوا يدعون أنّهم خلفاؤه، وأنّ الله سبحانه جعل فيهم الحقّ، وقدّم إليهم العهد، واستخلف عليهم البقية، كتابه القرآن، وخلافة رسوله. لذلك نلحظ السيّدة الزهراء عليها السلام، قد قرّعتهم وكشفت زيف زعمهم، وشخّصت حقيقة دعوتهم وادّعائهم الشيطانيّ الباطل، عندما خطابتهم قائلة إن كنتم صادقين أنتم عباد الله عزّوجلّ فعباد الله تبارك وتعالى؛ (نُصْبُ أمْرِهِ وَنَهْيِهِ)، وأنتم (نُصْبُ أمْرِ الشيطان وَنَهْيِهِ)، وعباد الله هم؛ (حَمَلَةُ دينِهِ وَوَحْيِهِ)، وأنتم (حَمَلَةُ دينِ الشيطان وَأوليائه)، وعباد الله هم؛ (أُمَناءُ الله عَلى أنْفُسِهِمْ)، وأنتم؛ (خائنو أمانة الله وأنفسكم)، وعباد الله هم؛ (بُلَغاؤُهُ إلى الأُمَمِ)، وأنتم؛ (بُلَغَاءُ الشيطان في حرب عباد الله إلى الأمم)، وعباد الله هم؛ (مطيعو الله وعارفو الحقّ وأهله، وأوفياء بالعهد الذي قدّم إليهم،

ومتمسّكون بالبقية التي استخلفها عليهم)، وأنتم؛ (زَعَمْتُمْ حَقٌّ لَكُمْ لله فِيْكُمْ، عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ)، فهي تشير إلى موقف شيطان الشياطين الإنسيّ الخصم الظالم ومن كان معه، قبيل ساعة استشهاد أبيها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، عندما أراد منهم وأمرهم أن يأتوه بدوات وقلم، ليكتب لهم وصيته التي لن يضلوا بعدها أبداً، فقال الخصم الظالم ومن معه: ((إنّ النّبي يهجر))[٦٠]، وفي البرهة نفسها تذكّرهم بوصيته التي قالها لهم في ساعتها: ((إِنِّي تَارِكٌ [مُخَلِّفٌ] فِيْكُمُ الثَّقَلَيْنِ؛ أَحَدهُمَا أَكْبَرَ مِنَ الآخَرِ، كِتَابَ الله حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلى الأَرْضِ وَعِتْرَتِي أَهْلَ بَيْتِي، وَإِنَّهُمَا لَن يَّفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الحَوْضَ))[٦١]، و((انظُرُوْا كَيْفَ تَخْلِفُوْنِي فِيْهِمَا؟، يَا أَيُّهَا النَّاسُ لَا تُعَلِّمُوْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَعْلَمُ مِنْكُمْ))[٦٢]، حتى تلقي الحجّة عليهم بأنّهم لم يتمسكوا بهما، بل تركوا كتاب الله وراء ظهورهم، وعطلوا أحكامه، وحاربوا عترته أهل بيته، ومنعوهم إرثهم وفي موقف الخطاب كانت السيدة الزهراء ﷺ، هي ممثّل عترة الرسول التي حرقوا دارها، وكسروا ضلعها، وأسقطوا جنينها، ومنعوها إرثها، لذلك قالت لهم: (عَهْدٌ قَدَّمَهُ إِلَيْكُمْ، وَبَقِيَّةٌ استَخْلَفَها عَلَيْكُمْ)، من هنا نجدها تبعت قولها مخاطبة إياهم؛ (كِتابُ الله النّاطِقُ، والقُرْآنُ الصّادِقُ، وَالنُّورُ السّاطِعُ، وَالضِّياءُ اللاّمِعُ)، فأين أنتم منه ؟! ولقد خلفتموه وراء ظهوركم و(بَيِّنَةٌ بَصائِرُهُ، مُنْكَشِفَةٌ سَرائِرُهُ، مُتَجَلِّيَةٌ ظَواهِرُهُ، مُغْتَبِطَةٌ بِهِ أَشْياعُهُ)، واتبعتم الكاذب الذي يأخذ بكم إلى الظلام، ويقودكم إلى الخسران اتباعه، ويؤدي إلى النار استماعه، في حين القرآن الكريم العظيم؛ (قائِدٌ إلى الرِّضْوانِ اتّباعُهُ، مُؤَدٍّ إلى النَّجاةِ إسْماعُهُ)، كما أوصاكم أبي الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ؟! الذي قال الله عزّوجلّ فيه إن كنتم مؤمنين كما تزعمون: ﴿ وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى * مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى * وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى * إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى * عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى * ذُو مِرَّةٍ

فَاسْتَوَى * وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى * ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى * فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى * فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى * مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى * أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى * وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى * عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى * عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى * إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى * مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى * لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾[٦٣]. من هنا نجد السيدة الزهراء قد ذكرت مصرّحة بالطرف الإيجابي المتمثل بدستور (حزب الله الرحمان وأهل بيته) الخالدين بوجوده تعالى كتاب الله الناطق وعترة أهل بيته قرآنه الصّادق بصورتيه (المرسومة والمعصومة)، وأخفت الطرف السلبي لـ(حزب الشيطان وأوليائه) وأبقت له قرينة لفظية دالة على فعلهم المشؤوم (زَعَمْتُمْ)، تنزيهاً لكل شيء مرتبط بالله سبحانه وملازم له، وأعظمها (الكتاب والعترة) أوّلاً، ثمّ إنّ خطابها إياهم بكناية إشارية أبلغ في إيصال ما تريده عليها السلام في نفوسهم من شعور بالجرم وإحساس بالظلم ثانياً، وفي البرهة نفسها تعرّفهم بمقامهم الشيطانيّ الذي نهايته الخسران، والخلود في النيران، إذْ وظّفت جموع تكسير (عِبَاد/ حَمَلَة/ أُمَنَاء/ بُلَغَاء) لتصوّر بجمعهم هذا، وما يزعمونه كذباً، تشخيص بشاعة ضعفهم أمام الشيطان الرجيم، وموقفهم تجاه الحقّ وأهله، وهذا ما عزّزته وعضّدته ودعمته (كاف الخطاب/ ك؛ وميم الجمع/ م = كم) في خطابها إيّاهم؛ (أَنْفُسِكُمْ و لَكُمْ و فِيْكُمْ و إِلَيْكُمْ و عَلَيْكُمْ)، من بعد التفاتها الجميل من ضمير الله الحق (الهاء) نور السماوات والأرض المتّصل الراجع إليه سبحانه؛ (أَمْرِه/ نَهْيِه/ دِيْنِه/ وَحْيِه) ثالثاً، وكذا تعطيهم قيمتهم الخسيسة، وتضعهم في خانتهم من الدرك الأسفل في الدنيا قبل الآخرة رابعاً، وقصدت إخفاء السلبي في موقف المقام حتى لا يشتبه على الناس بمرور العصور، ويختلط عليهم الحقّ بالباطل، فلا تفتح مجالاً لتزييف الحقائق، وانحراف الحقّ عن أهله خامساً.

لذلك في أُنموذج لاحق آخر جاء مقطع خطابها إيّاهم بذكر الجعل الإلهيّ أيضاً، قائلة: ((جَعَلَ اللهُ ... العَدْلَ تَنْسِيْقَاً لِلْقُلُوبِ، وَطَاعَتَنا نِظَامَاً لِلْمِلَّةِ، وَإِمَامَتَنا أَمَانَاً مِنَ الْفُرْقَةِ ... وَالأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ... وَالْقِصاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ... وَتَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ ... وَتَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ. وَحَرَّمَ اللهُ الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ، ﴿فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾ (٦٤)، وَأَطِيْعُوا اللهَ فِيمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ، فَإِنَّهُ ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٦٥))) (٦٦)، تشخّص السيّدة الزهراء ﷺ بمقطع خطابها هذا تجاوز الخصم الظالم وقومه معه على الجعل الإلهيّ، لاهثين وراء الوضع الشيطانيّ وخطواته، ومستجيبين لدعوته كلّها، فاتخذوا (الظُّلم) ولبّسوه صورة الحقّ نفاقاً!، فشتّتوا تنسيق القلوب، لذلك قالت: (العَدْلَ تَنْسِيْقَاً لِلْقُلُوبِ)، لتثبت أنّهم ليسوا بأهل (العَدْل)، وغير عادلين، من حيث معصيتهم الله عزّوجلّ في (جَعْلِهِ)، ومعصيتهم رسوله وعترته أهل بيته (عليهم أفضل الصّلاة وأزكى السّلام) التي جعلها (نِظَامَاً) للملّة، من هنا قالت: (طَاعَتَنا نِظَامَاً لِلْمِلَّةِ)، في حين الخصم الظالم ومن معه أجبروا الناس، ورفضوا عليهم طاعتهم بالقوة والتهديد بالقتل، وعطّلوا (نظام الله عزّوجلّ) الذي يشكّل التكامل الوظيفي مع جَعْله سبحانه (الإمامة) بوجود أهلها المصطفين المختارين المنتجبين منه تعالى أماناً من (الفُرْقة) للأُمم كلها، وللناس كافة، لهذا قالت: (إِمَامَتَنا أَمَانَاً مِنَ الْفُرْقَةِ)؛ لأنّ الخصم الظالم ومن معه، بعد سلبه (الإِمَامَة) من أهلها مفترضي (الطاعة)، وتقمصه (الخِلافة) بزعم دعوة الشورى، دبّت (الفُرْقة) في جسد أمة الإسلام وانتشرت بين المسلمين حتى عادوا فُرَقاً في أديانهم، وتفشى الرعب والإرهاب فيهم وانتهى الأمان وريحه، حتى يومنا هذا، لذا خاطبتهم بقولها: (إِمَامَتَنا أَمَانَاً مِنَ الْفُرْقَةِ)، في البرهة نفسها يحمل إشارة إلى أمر الله الحكيم بالاعتصام

بـ(حَبْلِهِ)، ومصداقه الجليّ الواضح (إِمَامَتهم) (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، عند قوله تبارك اسمه: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِّ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللهِّ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُّ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٦٧]، ولقد أشارت إليها في مقطع آخر من خطابها ﷺ عند احتجاجها على الخصم الظالم ومن معه بانقلاب ماضيهم وحاضرهم، إذْ تقول: (وَكُنْتُمْ عَلى شَفا حُفْرَةٍ مِنَ النّارِ، مُذْقَةَ الشّارِبِ، وَنُهْزَةَ الطّامِعِ، وَقُبْسَةَ الْعَجْلانِ، وَمَوْطِئَ الأَقْدامِ، تَشْرَبُونَ الطَّرْقَ، وَتَقْتاتُونَ الْوَرَقَ، أَذِلَّةً خاسِئِينَ، ﴿تَخافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِكُمْ﴾، فَأَنْقَذَكُمُ اللهُ تَبارَكَ وَتَعالى بِمُحَمَّدٍ صَلى الله عليه وآله بَعْدَ اللّتَيّا وَالَّتِي)[٦٨]. وبعد تشخيصها الخصم الظالم ومن معه في تخريب (نظام) الله وتعطيله بالمعصية، ونصبهم العداء لـ(الإمامة) وأهلها، ودعوتهم الناس التفرق عنها، هذا كلّه أدّى الى تعطيل كلّ شيء جعله الله عزّوجلّ، من الأمر بـ(المعروف) الذي لا يعمل به، بتفشي (المنكر) الذي عليه الخصم الظالم وقومه، بعدما جعل الله ؛ (الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعامَّةِ)، ومن (القصاص) الذي ما عاد إلّا أداة بيد الخصم الظالم لضرب أهل الحقّ، والله تعالى جعله (حياة) لأولي الألباب ليصلوا إلى التقوى وفعلها، و(حقناً) لدماء الناس، إذ فيه إشارة إلى قوله سبحانه: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[٦٩]، لذلك قالت؛ (الْقِصَاصَ حِصْناً لِلدِّماءِ)، وكذا تعطلت (توفية) المكاييل والموازين، وراح الخصم الظالم وقومه يبخسون الناس أشياءهم، ولقد بدأوا ببخس (نُبوّة) أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) مقامها وطاعتها، وطاعة (إمامة) بعلها وبنيها وحقّ خلافتهم الإلهيّة بالوصاية، وبخسوها (إرثها) الشرعيّ المُحكم من الله عزّوجلّ، فقالت: (تَوْفِيَةَ الْمَكاييلِ وَالْمَوازِينِ تَغْيِيراً لِلْبَخْسِ)، إذْ أرادت أن تبيّن لهم

أنّهم يكذّبون على الله ويفعلون كما (كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) في زمن (شُعَيْب)، بعدما أمرهم ولم يستجيبوا له، ولم يطيعوه، وعطّلوا حدود الله وأحكامه، فقال عزّوجلّ فيهم: ﴿كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللهَّ وَأَطِيعُونِ * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ * وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ * وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾[٧٠]، ومنه انتشرت (السرقة) وتفشت بعد سرقة الخصم الظالم وقومه الحقوق الإلهيّة كلّها بسبب أنّهم لا (عِفَّة) عندهم، ولا (حَيَاء)، وأول سرقتهم (قدّسية الله بطاعته وتقواه وخشيته)؛ في أنفسهم، وأنفس النّاس، وهكذا تتصل بها سرقتهم (مقام النبوة)، وبعده سرقتهم (خلافة الإمامة)، وبعدها سرقتهم (إرثها الشرعيّ)، وهي ما دعتها إلى خطاب قولها؛ (تَرْكَ السِّرْقَةِ إيجاباً لِلْعِفَّةِ). ومن ثم أعقبتها بذكر تحريم الله (الشِّرْك) بعدما رأت الخصم الظالم ومن معه، قد خرجوا من عزّ طاعة الله إلى ذُلّ معصيته بإشراك الشيطان في الباطن والظاهر، والسر والعلن حتى باتوا هم هو، وهو هم بأبدان إنسية، فكيف يرجى منهم (الإخلاص) لربوبية سبحانه وتعالى، لذلك قالت لهم: (حَرَّمَ الله الشِّرْكَ إخلاصاً لَهُ بالرُّبُوبِيَّةِ)، مشيرة في البرهة نفسها لهم إلى أنّ الله لا يغفر لمن يشرك به عند قوله العزيز: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴾[٧١]، وقوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَّ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾[٧٢]، وقوله تبارك اسمه: ﴿مَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَقَدْ حَرَّمَ اللهَّ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾[٧٣]، وقوله عزّوجلّ: ﴿فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ * حُنَفَاءَ للهَّ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللهَّ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ

السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾(٧٤)، وقوله الكريم: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللهَّ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾(٧٥). وهذا ما جعلها قاصدة توظيف آيتين في استدلال خطاب احتجاجها على الخصم الظالم ومن معه، هما: قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوْتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُوْنَ﴾، وقوله الحكيم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللهَ مِنْ عِبَادِهِ العُلَمَاءُ﴾ في معرض تشخيصها إياهم بأنّهم غير مطيعين في (طرف تقابلها المخفي)، فأمرتهم بطاعة الله سبحانه، قائلة: (أَطِيْعُوا اللهَ فِيْمَا أَمَرَكُمْ بِهِ وَنَهَاكُمْ عَنْهُ). من هنا قالت مكثّفة خطابها إيّاهم بإخفاء الطرف السلبي الذي هم عليه، مكتفية بذكر الطرف الإيجابيّ لتثبته وحده هو الصحيح الصالح، من حيث إنّه نظام الله العليم الحكيم البديع وأحكامه العظيمة.

ومن نماذجه التعريف بنفسها الطاهرة المباركة، مَن هي عليها السلام ؟ وما مقامها عند الله عزّوجلّ وعند أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ في خطاب الخصم الظالم ومن معه، والناس كافة، لتكشف حقيقة مَاهيّتهم وأصلهم المخبوء عند أنفسهم!؟ في طرف تقابلها السّلبي المخفي: ((أَيُّها النّاسُ! اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً، وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً))(٧٦)، خاطبت الخصم الظالم وقومه ومن معهم بـ(أيُّها النّاسُ) حيث شملتهم بتسمية مشتركة واحدة (النّاسُ)، لتشخّص أنّهم على غير (الإيمان) كلّهم على حدّ سواء، ولتحيل أسماعهم، أذهانهم إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللهَّ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللهَّ الْغَرُورُ * إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ * الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾(٧٧)، ومِنْ ثَمَّ مباشرة عرّفت بنفسها قائلة: (اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ)، لترجع كلّ واحد منهم إلى

نفسه بخصوص الخصوص الخصم الظالم، فينظر إلى نسائه؛ والده وزوجه وأخواته وبناته، من منهن أفضل منها؟ وأقرب إلى الله عزّوجلّ وإلى رسوله أبيها مُحَمَّد العظيم (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، وتذكّرهم بكون جلّهم صاحبته -كما يزعمون ويدّعون-، ماذا قال فيها: ((أَمَّا ابنَتِي فَاطِمَة فَإِنَّهَا سَيِّدَة نِسَاءِ العَالَمِينَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخَرِينَ، وَهِي بضْعَةٌ مِنِّي، وَهِيَ نُوْرُ عَيْنِي، وَهِي ثَمَرَةُ فُؤادِي، وَهِي رُوْحِي التي بَيْنَ جَنْبَي، وَهِيَ الحَوْرَاءُ الإِنْسِيَّة مَتَى قَامَتْ فِي مِحْرَابِهَا بَيْنَ يَدَي رَبِّهَا جل جلاله زَهَرَ نُوْرُهَا لِلَمَلائِكَةِ السَّمَاءِ كَمَا يَزْهر نُوْرُ الكَوَاكِبِ لأَهْلِ الأَرْض، ويقول الله جَلَّ جَلَالُهُ لِمَلَائِكَتِه يَا مَلَائِكَتِي انظرُوا إِلَى أَمَتِي فَاطِمَة سَيِّدَة إِمَائِي قَائِمَة بَيْنَ يَدَي تَرْتَعِد فَرَائِصُهَا مِن خِيْفَتِي وَقَد أَقْبَلَتْ بِقَلْبِهَا عَلَى عِبَادَتِي، أُشْهِدكُمْ أَنِّي قَدْ آمَنْتُ شِيْعَتَهَا مِنَ النَّارِ))[٧٨]، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) أيضاً: ((كَمُلَ مِنَ الرِّجَالِ كَثِيْرٌ، وَلَمْ يَكْمُلْ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا أَرْبَعٌ: مَرْيَمُ بِنْتُ عُمْرَان، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم امْرَأَةُ فِرْعَوْن، وَخَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، وَفَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ-صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ))[٧٩]، وقوله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) كذلك: ((أَفْضَلُ نِسَاءِ أَهْلِ الجَنَّةِ: خَدِيْجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِد، فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدٍ -صلى الله عليه وآله-، و مَرْيَمُ بِنْتُ عُمْرَان، وَآسِيَةُ بِنْتُ مُزَاحِم امْرَأَةُ فِرْعَوْن))[٨٠]، وقال (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ): ((يَا فَاطِمَةُ، أَلَا تَرْضَيْن أَن تَكُوْنِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ العَالَمِيْنَ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَسَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِيْنَ))[٨١]، وهذا هو مقامها القرآنيّ العظيم عند قوله تعالى: ﴿فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾[٨٢]. التعبير القرآنيّ العظيم جعل السيّدة فاطمة ﴿نِسَاءَنَا﴾، ولم يخرج أبوها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) غيرها معه، لكونها بحسب هذا التمثيل الجمعيّ باسم الجنس الجمعي (نِسَاء) مع اتصال ضمير (نَا) الجمعي به، أعطاها هذا التعبير مقام الاطلاق لدلالة

العموم والشمول (سَيِّدَة نِسَاءِ الخَلْقِ جَمِيْعَاً)، وحتى دخلوها جنّة الله جلّ جلاله، لذلك صرّح أبوها الرسول بقوله: (سَيِّدَةَ نِسَاْءِ العَالَمِيْنَ، وَسَيِّدَةَ نِسَاْءِ هَذِهِ الأُمَّةِ، وَسَيِّدَةَ نِسَاْءِ المُؤْمِنِيْنَ)، ومن ثَمّ بتعبير الحديث القدسيّ (أَمَتِي فَاطِمَة سَيِّدَة إِمَائِي)، و(سَيِّدَةَ نِسَاْءِ أَهْلِ الجَنَّةِ)[٨٣]. وبعد هذه المقامات كلها، كأنّها ترجعهم إلى أنفسهم ليروا مَنْ مِنْ نسائهم لها هذه المنزلة عند الله تعالى وعند أبيها الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ؟ لا بل مَن مِنْ نسائهم لها أبٌ مثل أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)؟ حتى بلغت من المقام المُحَمَّديّ ما لم يصل إليه أحد إلّا بعلها الإمام عليّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، لأنّه كفؤها وأخو أبيها الرسول ونفسه؛ وفي مقام (أبوة الأمّة)؛ وَ﴿أَنْفُسَنَا﴾، أَلَا وهو مقام (الأمومة) لأبيها رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين، إذْ قال: ((فَاطِمَةُ أُمُّ أَبِيْهَا))[٨٤]، وبهذا تكون لها (الأمومة المطلقة) للأمّة كلّها، من حيث إنّ الرسول (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) هو القائل: ((يَا عَلِيُّ أَنَا وَأَنْتَ أَبَوَا هَذِهِ الأُمَّةِ))[٨٥]، إذاً فهي عليها السلام؛ ليست (أُمّ أَبِيْهَا) فحسب، بل (أُمُّ أَبِي هَذِهِ الأُمَّةِ)، من هنا قال الإمام الحَسَن العسكريّ (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ((نَحْنَ حُجَجُ الله عَلَى خَلْقِهِ، وَجَدَّتُنَا فَاطِمَةُ حُجَّةُ الله عَلَيْنَا))[٨٦]، وعليه فـ((لَا يقاس بآل محمد صلى الله عليه وآله من هذه الامة أحد ولا يسوى بهم من جرت نعمتهم عليه أبداً، هم أساس الدين، وعماد اليقين، إليهم يفيء الغالي، وبهم يلحق التالي، ولهم خصائص حق الولاية، وفيهم الوصية والوراثة))[٨٧]. لذا قصدت السيّدة الزهراء في خطابها إيّاهم (اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ، وَأبي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، أن تقابل بين طرفها الإيجابيّ (الرحمانيّ)، وكأنّها تقصد كشف أرحامهم وعرقهم الدسّاس بخطابها إيّاهم (اعْلَمُوا أَنِّي فاطِمَةُ)، أي: أنا (فاطمة سيّدة العالمين جميعاً –بحسب المقامات المذكورة آنفاً–)، فمَنْ نساؤكم وأمّهاتُكم وبناتُكم ؟! فتّشوا عن أصلهن وعن آبائهن، لذا نلحظ أردفت خطابها بـ(الواو)

الدالة على الترتيب ووثاقة ارتباط النّسب والتعقيب، قائلة مباشرة: (وَأبي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، أي: بعد التفتيش عن نسائكم وأمهاتكم، فتّشوا عن حقيقة آبائكم!.

وبين طرف الخصم الظالم ومن معه السلبيّ (الشيطانيّ) الذي أخفته عن ذكر طرف التقابل الظاهر، لتجسّد طرده عن (الرحمة الإلهيّة) الماضويّ، والحاليّ، والمستقبليّ، وإلى ما شاء الله تعالى، من هنا أكّدت قولها دلالةً بـ(الحصر الأبديّ)؛ مخاطبةً إيّاهم: (أَقُولُ عَوْداً وَبَدْءاً)، وبالتأكيد اللفظيّ معاً؛ (وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً، وَلا أَفْعَلُ ما أَفْعَلُ شَطَطاً)، أيّ: إنّها ﷺ أكّدت نفي (قول الغلط)، و(فعل الشطط) عن طرفها (الإيجابيّ)، وأثبتتهما في البرهة نفسها عند الطرف (السلبيّ) الخصم الظالم وقومه معه، كما في الشكل الآتي:

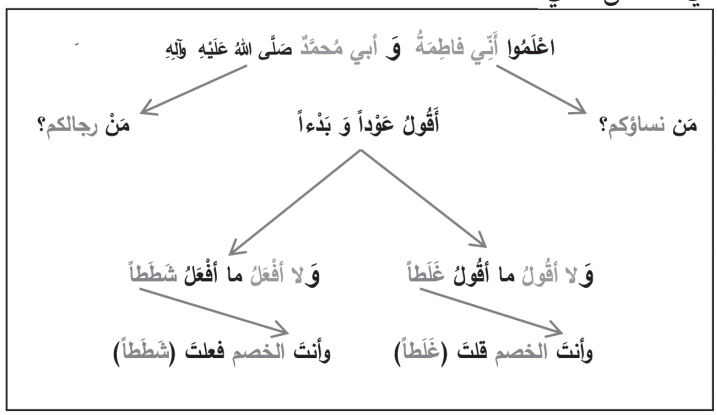

وتقدير خطابها هو الآتي: (وَلا أَقُولُ ما أَقُولُ غَلَطاً)، وأنت أيّها الخصم الظالم، قد قلتَ (غَلَطاً) ليس الآن ضدّي بانتهاكك (مقام سيادتي على النساء وحرمتي)، وسلبتَ حقّي من (أبي الرسول) بدعوى (رأيك الغلط)؛ (نحن معشر الأنبياء لا نورّث ما تركناه صدقة)[٨٨] ليس هذا غلطك الوحيد فحسب، بل قد قلتَ (غَلَطاً) عندما هتكتَ (مقام نبوة أبي الرسول) ومَنْ مَعَك، بقولك: (إنّ النّبي يهجر)، وقد

قلتَ (غَلَطاً) عندما غصبتَ (مقام الإمامة) بقولك زاعماً: (الشورى). وكذا (لا أفْعَلُ ما أفْعَلُ شَطَطاً)، وأنت أيّها الخصم الظالم، قد فعلتَ (شَطَطاً) عندما خططتَ ونفذتَ ومَنْ مَعَك، بـ(دسّ السُّم) لنبي الله ورسوله أبي مُحَمَّدٍ (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)، ومات شهيداً، وكذلك لقد فعلتَ (شَطَطاً) عندما أحرقتَ داري ومَنْ مَعَك، وكسرتَ ضلعي وأسقطتَ جنيني (المُحْسِن)، وقيل لك في الدار (فَاطِمَة)، قلتَ: (وإنْ)، وبعدها قد فعلتَ (شَطَطاً) دخلتَ داري بعد احراقه وهتكتَ حرمته!، وأخذ بَعْلِي (إمام الإمامة) عليّاً مكبّلاً مستغلاً وصية حبيبه له؛ (يَا عَلِيُّ لَا تُشْهِر سَيْفَكَ بَعْدِي سَبْتاً)[٨٩] لتجبره على البيعة لك ظلماً، وقد فعلت (شَطَطاً) سرقتَ (خلافة إمام الإمامة)، وأنت تفعل اليوم (شَطَطاً) تمنعني (إرث أبي) لي، وتغتصبه، ومَن ثَمَّ ستفعل (شَطَطاً)، وتخطط لقتله أنتَ ومَنْ مَعَك، حتى يضربه أشقى الأوّلين والآخرين (عبد الشيطان بن ملجم) في محرابه فيموت شهيداً. وعَبْر تقابل خطابها البديع تُبان جمالية بِنْيته بعلاقاتها المنسجمة، وعناصرها المتماسكة، وأواصرها المتراصّة، وهندسة تشكيلها الرائعة، لإيصال رسالتها بأدقّ صورة، وأكمل حجّة، وأكثر إقناعاً، وأبين لكشف حقيقة الآخر.

خاتمة القراءة ونتائجها:

يجمع التقابل ويجمع في البرهة نفسها عَبْر وظيفتيه الخطابيّة، والنصيّة معاً بين تجلية بيان المعنى، وتأكيده، وتعضيده، وتعزيزه الذي يقصده المنشئ، ويريده من جهة؛ وبين جماليته البديعة التي يؤسّسها التناسب الدّلالي الناتج من التقانة الهندسيّة بعناصرها، ومكوناتها، وأواصرها، وعلاقاتها المتبادلة دلاليّاً في حمل المعنى المقصود.

إنّ وظيفة التقابل في خطاب الاحتجاج أداة رئيسة ليس لقياس الفارق بين طرفي العملية الخطابية فحسب، بل لبيان المقامات بينهما، إذ كلما كان الخطيب أعلى شأناً من المُخاطَب كان تشخيص بيان التفاضل بينهما أكثر وقعاً، وأعمق تأثيراً في نفسه (المُخاطَب)، وفي نفوس السامعين الذين شهدوا مناسبة الحدث، والظروف المحيطة به، فكيف بالمتكلّم الخطيب السيّدة فاطمة الزهراء ﷺ ؟، التي رضا الله عزّ وجلّ في رضاها! ابنةُ مَن؟ وزوجُ مَن؟ وأمُّ مَن؟ وكفى! .

إنّ من مَهَمّات التقابل، واشتغالاته كشف حقيقة الآخر المُخاطَب الخصم، إذ إنّ الخطيب لو لم يعلمه، ويعرفه معرفةً وثيقة لما قابل بينه، وبين ما هو أصله، وبيئته، وأسرته، وعرقه الدساس التي وُلِد فيها، ونشأ منها كلّها.

إنّ توظيف السيّدة الزهراء ﷺ للتقابل، كانت قاصدةً مريدةً من ورائه تصوير معادلة الحقيقة، وبيان الحقّ المغتصب من أبيها، وبعلها، ومنها هي نفسها، واستشراف اغتصاب الحق الذي سيُظلم به أبناؤها بعدها، عَبْر زَيْف (حزب الشيطان الخاسر الباطل الزاهق)، كما جاء على لسان الوعيد الإلهيّ، قائلاً: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ❋

أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ * لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللهِ شَيْئًا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ * اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ﴾[٩٠]، ودَجَله وتشويهه الحقيقة الإلهيّة وقلبها، وحربه على (حزب الله الغَالِب المُفْلِح) على لسان الاستشراف القرآنيّ في بشارة الله عزّوجلّ، إذْ يقول: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾[٩١]، وقوله العزيز: ﴿كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ * لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[٩٢]، وغيّر الحقائق بإعلامه السائد آنذاك الذي كان يبثّه بقنواته، وإذاعاته المتعارفة، لذلك فبحِجاج التقابل كشفته عليها السلام مَن هو ؟ وما حقيقته ؟ أوّلاً، وفي البرهة نفسها كشفته عَبْر أتباعه، والمُطبّلين له الذين ينعقون وراء كلّ ناعق، المُنقلِبين على أعقابهم بعد استشهاد أبيها الرسول مُحَمَّد (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ثانياً. إذْ من العجب ولا عجب ! كانوا جميعهم مع الخصم المخاطَب يدّعون أنّهم صحابة رسول الله (صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وسلم)، وهذا ما جعل القوم جميعهم يجهشون بالبكاء عندما جاءت السيّدة الزهراء عليها السلام، وسمعوا صوتها مهتضمة مظلومة مغتصبة إرثها (وَأَنَّتْ أَنَّةً)، لذا قالت لهم: (اعْلَمُوا أَنِّي فَاطِمَةُ).

هوامش القراءة:

١. الشّمس: ٧-٩.

٢. حركة سباحة القمر في فلكه حركة بَرميّة، وليست بحركة حلقية كما هي حركة الأرض مثلاً.

٣. التوبة: ٣٦.

٤. التوحيد: ٣-٤.

٥. الشورى: ١١-١٢.

٦. موسوعة كلمات الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): ١/ ٣٤٤.

٧. مسند الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): للشيخ عزيز الله عطاردي: ٢/ ١١٥.

٨. التقابل الجمالي في النص القرآنيّ (دراسة جمالية فكرية وأسلوبية-(بالتصرّف): ١٠٠.

٩. معنى الجمال (نظرية في الاستطيقا-: ولتر .ت. ستيس، تر/ إمام عبد الفتاح محمّد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (د-ط)/ ٢٠٠٠م.

١٠. ينظر: التقابل الجماليّ في النص القرآنيّ: ١٠٣. وينظر: التصوير الفنّي في خطب المسيرة الحسينيّة: ١٤٤ وما بعدها.

١١. ينظر: نثر أبي العلاء المعريّ (دراسة فنية-: ١٨٣. وينظر: تكوين البلاغة (قراءة جديدة ومنهج مقترح-: ٣١١.

١٢. ينظر: السيف الصنيع لمنكري علم البديع: ١٧٥. وينظر: البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلاميّ: ٨٦.

١٣. - التقابل الجماليّ في النص القرآنيّ (بالتصرّف): ١٨٥.

١٤. - الاحتجاج: للطّبرسيّ (ت ٥٢٠ هـ): تحـ/ إبراهيم البهاديريّ وزميله، دار الأسرة للطّباعة والنّشر، قم المقدسة، ط٧/ ١٤٢٢هـ: ج١/ ٢٥٥

١٥. - فاتحة القرآن: ٢- ٧.

١٦. آل عمران: ١٠١-١٠٣.

١٧. المائدة: ٥٦.

١٨. المجادلة: ١٤-٢٠.

١٩. صحيح البخاري: ٤/ ٤٩٠. وصحيح مسلم: ١١/ ٨٩.

٢٠. الأحزاب: ٣٣.

٢١. ينظر: أصول الكافي: ١/ ٢٨١. وينظر: بحار الأنوار: ٢٢/ ٤٧٩، ونفسه: ٣٠/ ٢٩٦، ونفسه أيضاً: ٤٣/ ١٤٩. وينظر: المعجم الكبير للطبرانيّ: ١١/ ٦٠. وينظر: تأريخ دمشق: ٤٢/ ٣٢٢، وينظر: شرح ابن أبي الحديد: ٣/ ٢٧٢.

٢٢. الاحتجاج: ج١/ ٢٥٥.

٢٣. الاحتجاج: ج١/ ٢٥٧.

٢٤. بحار الأنوار: ج١/ ١٨؛ كان هذا قوله لجابر (رضوان الله عليه).

٢٥. التوبة: ١٢٨.

٢٦. الاحتجاج: ج١/ ٢٥٩.

٢٧. الاحتجاج: ج١/ ٢٥٦.

٢٨. ينظر: لسان العرب: مادة (ذود). وينظر: تاج العروس: مادة (ذرد).

٢٩. ينظر: لسان العرب: مادة (حوش). وينظر: تاج العروس: مادة (حيش).

٣٠. الاحتجاج: ج١/ ٢٥٩.

٣١. آل عمران: ٦١.

٣٢. - عيون الأخبار: ج١/ ٢٢٥.

٣٣. – أعيان الشيعة: ج ٢٢ / ٥٦٩.

٣٤. – أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب: للعقيليّ: ٢٤٥.

٣٥. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٨.

٣٦. – التوبة: ٢٨-٢٩.

٣٧. – بحار الأنوار: ج٤١/ ٩٨.

٣٨. – الأحزاب: ٣٣.

٣٩. – المائدة: ٦٤.

٤٠. – الاحتجاج: ج١/ ٢٦٢ وما بعدها.

٤١. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٧.

٤٢. – آل عمران: ١٠٥-١٠٦.

٤٣. – الشعراء: ٦٩-٧٦.

٤٤. – بنو قَيلة: هم الأوس والخزرج قبيلتا الأنصار، وقَيلة اسم أمّ لهم قديمة، هي قَيلة بنت كاهل.

٤٥. – التوبة: ١٣.

٤٦. – إبراهيم: ٨.

٤٧. – الهمزة: ٦-٧.

٤٨. – الشعراء: ٢٢٧.

٤٩. – الاحتجاج: ج١/ ٢٧١-٢٧٤.

٥٠. – المجادلة: ١٩-٢٠.

٥١. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٦.

٥٢. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٦.

٥٣. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٨.

٥٤. الاحتجاج: ج١/ ٢٦١.

٥٥. – العنكبوت: ٦٧-٦٩.

٥٦. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٦.

٥٧. – الشورى: ٤٧.

٥٨. – الأنفال: ٢٤-٢٥.

٥٩. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٧.

٦٠. – صحيح البخاري: ٤/ ٤٩٠. وصحيح مسلم: ١١/ ٨٩.

٦١. – مسند أحمد بن حنبل: ٣/ ١٨.

٦٢. – مسند الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): للشيخ عزيز الله عطاردي: ٢/ ١١٥.

٦٣. – النّجم: ١-١٨.

٦٤. – آل عمران: ١٠٢.

٦٥. – فاطر: ٢٨.

٦٦. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٨.

٦٧. – آل عمران: ١٠٣.

٦٨. – ذكرنا هذا المقطع محلّلين في موضوعة؛ (جمالية إخفاء الإيجابي عن طرفه السَّلبيّ).

٦٩. – البقرة: ١٧٩.

٧٠. – الشّعراء: ١٧٦-١٨٣.

٧١. – النّساء: ٤٨.

٧٢. – النّساء: ١١٦.

٧٣. – المائدة: ٧٢.

٧٤. – الحجّ: ٣٠-٣١.

٧٥. – لقمان: ١٣.

٧٦. – الاحتجاج: ج١/ ٢٥٩ وما بعدها.

٧٧. – فاطر: ٥-٧.

٧٨. – بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٨.

٧٩. – العمدة لابن بطريق: ٣٨٧.

٨٠. – مسند أحمد :٢ / ٢٩٣.

٨١. – مستدرك الحاكم: ٣ / ١٥٦، و إتحاف السائل: ٧٤.

٨٢. – آل عمران: ٦١.

٨٣. – ينظر: بحار الأنوار: ٢٨/ ٣٨.

٨٤. – إعلام الورى: ١/ ٣٧٨، ومقاتل الطالبيين: ٥٧، ومناقب ابن شهر آشوب: ٣/ ٣٥٧.

٨٥. – مناقب ابن شهر آشوب: ٣/ ١٠٥.

٨٦. – الأسرار الفاطميّة: ٦٩.

٨٧. – نهج البلاغة: تحـ/ الميلانيّ: ٧٢ وما بعدها.

٨٨. – قصدية القول –إن صحّت نسبته إلى الرسول مُحَمَّد (صلّى الله عليه وآله)– أي: إرثنا معشر الأنبياء لأولادنا كسائر إرث الناس لأولادهم من حيث إنّ وصية الله في أحكام كتابه، وشريعة إسلام قرآنه واحدة ثابتة لا تستثني أحداً، لذلك فإرثهم المتروك لا يورّثونه صدقة، لأنّه ليس بصدقة، لذا فـ(ما) في القول هي نافية، ولسيت كما عدّها الخصم الظالم (غَلَطاً) بموصولة.

٨٩. – السَّبُت: بفتح السين وضمّ الباء؛ مدّة من الدهر، وفي حساب العرب (ثلاثون سنة)، ينظر: معجم العين: مادة (سَبَتَ).

٩٠. – المجادلة: ١٤–٢٠.

٩١. – المائدة: ٥٦.

٩٢. – المجادلة: ٢١–٢٢.

المصادر والمراجع

﴿*﴾ القُرآنُ الكَرِيْمُ.

١-أبحاث في سرّ الخطاب في الكتاب من الكتاب: للشّيخ عبدالكريم العقيليّ، مؤسّسة بنت الرسول صلى الله عليه وآله [بضعة المصطفى صلى الله عليه وآله] لإحياء تراث أهل البيت عليهم السلام، ط٢/ ١٤٢٤ هـ- ٢٠٠٣ م.

٢-إتحاف السائل بما لفاطمة من المناقب: لمحمد بن عبد الله الأكراوي القلشندي الشافعي (ت ١٠٣٥ هـ)، تحـ/ محمد كاظم الموسوي، الناشر: المجمع العالمي للتقريب بين المذاهب الإسلامية-المعاونية الثقافية مركز التحقيقات والدراسات العلمية، بيروت-لبنان، ط١/ ٢٠٠٦م.

٣- الاحتجاج: لأبي منصور أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطّبرسيّ (ت٥٦٠هـ)، تحـ/ إبراهيم البهادريّ ومحمّد هادي به، دار الأُسرة للطباعة والنشر، مطبعة القرآن الكريم الكبرى، الجمهورية الإسلامية الإيرانية، ط٧/ ١٤٣٠هـ.

٤- الأسرار الفاطميّة: الشيخ محمّد فاضل المسعوديّ، مؤسسة الزائر في الروضة المقدسة-لحضرة السيدة فاطمة معصومة للطباعة والنشر، ط١/ ١٤٢٠هـ.

٥- أصول الكافي: أصول الكافي: لأبي جعفر محمّد بن يعقوب الكُلينيّ (ت٣٢٨هـ)، تصـ/ عليّ أكبر الغفّاريّ، دار الكُتب الإسلامية، ط٢/ ١٣٨٩هـ.

٦- إعلام الورى بأعلام الهدى: الفضل بن الحسن الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، مؤسسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث، ط١/ ١٤١٧ هـ.

٧- أعيان الشيعة: محسن بن عبد الكريم الأمين الحسينيّ العامليّ الدمشقيّ (ت ١٩٥٣ م)، دار المعارف للمطبوعات، بيروت-لبنان، (د-ط)/ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

٨- بحار الأنوار: لمحمّد باقر المجلسيّ (ت١١١١هـ)، تحـ/ لجنة من العلماء والحققين، تعليق الشيخ عليّ النّمازي الشّاهروديّ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت- لبنان، ط١/ ٢٠٠٨م.

٩- البلاغة الحديثة في ضوء المنهج الإسلاميّ: د. محمود البستانيّ، دار الفقه للطباعة والنشر، قم المقدسة-إيران، ط١/ ١٤٢٤ هـ.

١٠- تاج العروس: لمحمّد مرتضى الحسينيّ الزبيديّ (ت١٢٠٥هـ)، تحـ/ عبد السّلام هارون وزملائه، الكويت (د-ت).

١١- تأريخ دمشق: لابن عساكر، مطبعة دار الكُتب التراثية، بيروت – لبنان، (د-ط)/ ١٣٨٨هـ.

١٢- التصوير الفنّي في خطب المسيرة الحسينيّة: هادي سعدون هنون، إصدارات العتبة العلوية المقدسة، النجف الأشرف- العراق، (د-ط)/ ٢٠١١م.

١٣- التقابل الجمالي في النص القرآنيّ – دراسة جمالية فكرية وأسلوبية-: أ.د حسين جمعة، منشورات دار النمير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق-سوريا، ط١/ ٢٠٠٥م.

١٤- تكوين البلاغة –قراءة جديدة ومنهج مقترح- : علي فرج، دار المصطفى لإحياء التراث العربيّ، قم المقدسة-إيران، ط١/ ١٣٧٩ هـ.

١٥- السيف الصنيع لمنكري علم البديع: محمّد رضا النجفي الأصفهانيّ، المكتبة الأدبية المختصّة، قم المقدسة-إيران، ط١/ ١٤٢٧ هـ.

١٦- شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد: تحـ/ محمّد أبي الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت- لبنان، ط١/ ١٩٨٧م.

١٧- صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمّد بن إسماعيل البخاري (ت٢٥٦هـ)، تحـ/ أحمد محمّد شاكر، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت- البنان، (د-ط-ت).

١٨- صحيح مسلم: صحيح مسلم: لمسلم بن الحجاج القشيريّ (ت٢٦١هـ)، دار القاهرة، مصر، ط١/ ١٩٥٥م.

١٩- العمدة (عمدة عيون صحاح الأخبار في مناقب إمام الأبرار): لابن بطريق يحيى بن الحسن الأسديّ (ت ٦٠٠ هـ)، مؤسسة النشر الإسلاميّ، جماعة المدرسين، قم المقدسة- إيران، (د-ط)/ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٢٠- العين: للخليل بن أحمد الفراهيديّ (ت ١٧٥ هـ)، مؤسسة دار الهجرة، ط٢/ ١٤٠٩ ه.

٢١- عيون الأخبار: لعبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦ هـ)، مطبعة دار الكتب المصرية، (د-ط)/ ١٣٤٣ هـ.

٢٢- لسان العرب: لابن منظور (ت٧١١هـ)، تحـ/ محمّد الصادق العبيدي وزميله، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التأريخ العربيّ، بيروت- لبنان، ط٣/ (د-ت).

٢٣- مستدرك الحاكم: محمّد بن محمّد النيسابوريّ (ت ٤٠٥ هـ)، دار المعرفة، (د-ط)/ ١٤٠٦م.

٢٤- مسند أحمد بن حنبل (ت ٢٤١هـ): تحـ/ محمّد عبد السّلام عبد الثاني، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١/ ١٩٩٣م.

٢٥- مسند الإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ): للشيخ عزيز الله عطاردي، الناشر: المؤتمر

العالمي للإمام الرضا (عَلَيْهِ السَّلَامُ)، مؤسسة طبع ونشر آستان قدس الرضوي ربيع الآخر، (د-ط)/ ١٤٠٦ هـ.

٢٦- المعجم الكبير: للحافظ أبي القاسم سليمان بن أحمد الطّبرانيّ (ت٣٦٠هـ)، تح/ محمّدي عبد المجيد السلفيّ، مكتبة ابن تيمية، القاهرة- مصر (د-ط-ت).

٢٧- معنى الجمال -نظرية في الاستطيقا-: ولتر .ت. ستيس، تر/ إمام عبد الفتاح محمّد، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة (د-ط)/ ٢٠٠٠م.

٢٨- مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج عليّ بن الحسين بن محمّد بن أحمد الأصفهاني (ت ٣٥٦ هـ)، المكتبة الحيدرية، النجف الأشرف- العراق، ط١/ ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

٢٩- مناقب آل أبي طالب: لابن شهر آشوب (ت ٥٨٨ هـ)، المطبعة الحيدرية، (د-ط)/ ١٣٧٦ هـ.

٣٠- موسوعة كلمات الإمام الحسين (عَلَيْهِ السَّلَامُ): معهد تحقيقات باقر العلوم، منظمة الإعلام الإسلاميّ، انتشارات أسوة، منظمة الأوقاف والأمور الخيرية، طهران-إيران، ط١/ ١٤٢٥هـ.

٣١- نثر أبي العلاء المعريّ -دراسة فنّية-: دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة- مصر، (د-ط)/ ٢٠٠٦م.

٣٢- نهج البلاغة: تح/ السيد الميلاني، العتبة العلوية المقدّسة، مكتبة الروضة الحيدرية، النجف الأشرف- العراق، ط٣/ ١٤٣١هـ- ٢٠١٠م.